

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله والصلاة والسلام على رسول الله وعلى آله وصحابه، ومن اهتدى بهديهم إلى يوم الدين، وبعد:

الاعتماد على النقل المتوارث في مدرسة الكوفة الفقهية

صلاح محمد سالم أبو الحاج

إن من يكثر الاشتغال بفقه السادة الحنفية يلمح بكل وضوح وجلاء أنهم بنوا جل المسائل على آثار الصحابة والتابعين لا سيما الذين توطنوا وعاشوا في الكوفة، فكثيراً ما يرد في كتبهم الفقهية للاستدلال على بعض الأحكام أنهم قالوا به للتوارث، أي لما ورثه شيوخ المدرسة أبو حنيفة وأصحابه عن شيوخهم من التابعين والصحابة إلى رسول الله .

بل إن منشأ اعتماد أكثر مسائلهم في الاستنباط والتفريع هو ما تلقوه عن الصحابة في الكوفة، فهو مذهب تأسس وبني على فقه وآثار السلف في تلك البقعة التي كانت عاصمة الإسلام، ومهد علومه المختلفة في مرحلة تكوين المذهب ونشأته.

لذلك يمكننا القول: إنه مذهب مدرسي تكوّن من اجتهادات والصحابة والتابعين وتابعيهم، وعمل الإمام أبو حنيفة هو النقل عنهم والتفريع لمسائله والتفريع والتأصيل لها، فهو مذهب متوارث جيلاً بعد جيل من الترتيب والتهذيب إلى يومنا هذا.

وهذا الذي نقوله ليس فهماً لنا، وإنما ظاهر وواضح عند علماء المذاهب عبر القرون، وما طعن الطاعنون في مسائل المذهب من حيث الاستدلال إلا لخفاء هذه الحقيقة الجلية عنهم، وعزوبها عن أنظارهم.

فالمذهب الحنفي والمذهب المالكي مذهبان بنيا على الفقه المتوارث عن الصحابة والتابعين، فهما مدرستان أساسهما آثار الصحابة واجتهاداتهم، وهذه الحقيقة مشهورة جداً بالنسبة للمذهب المالكي فيما يسمّى عندهم إجماع أهل المدينة، وقد ألفت فيه بحوث عديدة وطبع بعضها في دار البحوث للدراسات، دبي، والأمر لا يختلف في المذهب الحنفي من حيث المبدأ إلا أنه يسمّى التوارث في كتب السادة الحنفية، وليس الإجماع.

The Role of Tradition in Hanafite Usul al-Fiqh

The study discussed the important issue which is the reasoning of the Hanafi school. It is the doctrine on the issue of building a legacy of the Principles of the school and their companions may Allah be pleased with them. It is clear from the study and exploration that the Hanafi school and the Maliki school agreed to adopt Almathhab and to consider the work of the people of Al-Madina to be submitted to a certain extent. They are both based on the inherited fiqh from the elders and the elderly sheikh's hospitality to the Prophet peace be upon him. And because most Sahaba may Allah be pleased with their two And the emergence and development of the science The research demonstrated the strong communication layer to layer so that the doctrine of Abu Hanifa And then get together, origin, and the rank Doctrine has become so obvious features of Evidence

Began emerging from the time of Ibn Masood may Allah be pleased with him and have continued to develop to the time of Abu Hanifa may Allah be pleased with him If this fact, we made clear that we have solved the most complicated problem in the reasoning of the doctrine of the Hanafi It inheritance: the school, Al-Madina and school in Kufa, adopted on the transfer Al-fiqh inherited generation after generation of the Messenger of Allah may Allah bless him and disagreed with it All of them provide the transfer Mojtahti companions may Allah be pleased with them, who lived in the country, followed by scholars from the Messenger of Allah and peace be upon him and invoked.

Key Words: Hanafi school, Kufa school, Ibn Masood, Abu Hanifa.

Anahtar Kelimeler: Hanefi Mezhebi, Kufe Ekolü, İbn Mesud, Ebu Hanife.

İktibas / Citation: "الاعتماد على النقل المتوارث في مدرسة الكوفة الفقهية"، صلاح محمد سالم أبو الحاج، *Usûl*, 9 (2008/1), 41 - 86.

جزماً أقوى مما نقل بطرق آحاد عن رسول الله يمكن أن الراوي نسي أو أخطأ أو غير معنى أو غير ذلك مما يطول^(٢).

وهذا الأمر بتمامه حاصل بالكوفة، فهي حاضرة الإسلام بعد المدينة المنورة، وفيها حلّ كبار الصحابة وفقهوا أهلها وحمل عنهم التابعين ومن بعدهم وعلى رأسهم الإمام أبي حنيفة، فكل ما يخالف العمل المتوارث المنقول من فعل وقول النبي بالطرق المتظاهرة نجد الإمام أبو حنيفة لا يتركه لحديث حفظ راويه أو نسي، كما كان يفعل أئمة مدرسة الكوفة من قبله، فهذا هو الإمام إبراهيم التَّخَعِيّ يحتجّ بذلك العمل المتوارث من صحابة رسول الله الذين نزلوا في الكوفة في مسألة، فيقول: ((هبط الكوفة ثلاثمئة من أصحاب الشجرة، وسبعون من أهل بدر، لا نعلم أحداً منهم قصر، ولا صلّى الركعتين اللتين قبل المغرب))^(٣).

فهذه الحقيقة واضحة لكل مشتغل بالمذهب الحنفي والاستدلال له، فكل مسألة خالف فيها أبو حنيفة غيره وأعوزه الحديث فيها، وجدنا أنه قد قال بها ابن مسعود أو علي بن أبي طالب أو غيرهم من الصحابة الذي حلّوا في الكوفة، وكان عمل فقهاء أهل الكوفة المعتمدين عليها، حتى وصل للإمام أبي حنيفة، فاعتماده على هذا النقل المستفيض عن رسول الله يغنيه عن حديث الآحاد فيها.

وحاصل الكلام أن مدرسة المدينة ومدرسة الكوفة اعتمدتا في فقههما على النقل المتوارث جيلاً بعد جيل عن رسول الله فيما اختلف فيه، فكل منهما يقدم ما نقل مجتهدي الصحابة الذي حلوا في بلده، ومن بعدهم من الفقهاء عن رسول الله ويحتج به، وهذا وإن كان مصرحاً به في كتب المالكية ومنها ((الموطأ))، إلا أننا نلاحظ الأمر

ويدلّ على ذلك العديد من عبارات علماء المذهب الحنفي، ومنهم مثلاً الإمام القدوري (ت ٤٢٨ هـ) عند احتجاجه في مسألة خلافية بين الحنفية والمالكية، إذ قال^(١): ((وقولهم: إن أهل المدينة يفعلون وينقلون لا يصح؛ لأن أهل الكوفة يفعلون وينقلون، ومن انتقل إلى الكوفة من الأئمة أكثر ممن بقي بالمدينة)).

ورغم كل هذه الأهمية لهذا الموضوع فإنني لم أقف على دراسة فيه، لذلك سأفصل الكلام في إثبات هذه الحقيقة بالتركيز على المكانة العلمية الرفيعة للكوفة.

وسعيّاً في تحقيق ذلك فسيكون الكلام في حال الصحابة الذين نزلوا في الكوفة وما قاموا به من نشر للعلم، ثم في كيفية نقل فعلهم وأقوالهم وتواترها جيلاً بعد جيل إلى أن وصلت إلى إمام الأئمة أبي حنيفة الذي نقل فقه إلينا بطرق متواترة أو مشهورة.

فمن يدقّ النظر يجد أن فعل رسول الله وقوله المنقول من خلال مدرسة الكوفة ظفر بعناية فائقة في كل طبقة من الطبقات حتى وصل إلينا، بلا شكّ في رجل من السند، أو وهم راوٍ، أو تدليس شيخ، أو اضطراب لفظ وسند، أو انقطاع، أو نقل حديث بالمعنى، أو غيرها مما يقع في الحديث النبوي الشريف؛ لأنه نقل من طريق الفقهاء الكبار الضابطين في كل طبقة البالغ عددهم حدّ التواتر، بخلاف ما يكون مروياً بطرق بعض الرواة، وبطرق آحاد.

بسبب ذلك وجدنا الإمام مالك لا يعير بالألّ لحديث مخالف لعمل أهل المدينة، ليس لأن فعل أهل المدينة مقدّم على كلام رسول الله، فلا عاقل يقول بذلك، بل لأنه يسعى الثبوت فيما نقل عن رسول الله، فالكل راجع له، ومسترشد بقوله، فما نقل بطرق متواترة من فعل وقول النبي من الصحابة المقيمين بالمدينة، ومن التابعين ومن بعدهم

^(١) وتمام الكلام في عمل أهل المدينة في الكتب المتخصصة في ذلك مثل: عمل أهل المدينة، وخبر الواحد إذا خالف عمل أهل المدينة، والمسائل التي بناها الإمام مالك على عمل أهل المدينة، وغيرها من مطبوعات مركز البحوث في دولة الإمارات.

^(٢) ينظر: طبقات ابن سعد ٦: ٩.

^(٣) التجريد ١: ٤١١.

وفرض لهم الأعطية من الفيء، وقسّم القسوم بين الناس، وفرض لأهل بدر وفضلهم على غيرهم، وفرض للمسلمين على أقدارهم، وتقدمهم في الإسلام^(٦).

الطبقة الأولى: الصحابة:

أولاً: عدد الصحابة الذين توطنوا الكوفة:

فاق عدد الصحابة الذي حلوا بالكوفة ألف وخمسمئة بينهم كبار المجتهدين والفقهاء كعلي وابن مسعود وأبي موسى الأشعري وغيرهم، فعن قتادة قال: ((دخل الكوفة من أصحاب النبي ألف وخمسون منهم ثلاثون بدريون))^(٧)، قال الإمام الكوثري^(٨): ((بينما ترى محمد بن الربيع الجيزي والسيوطي لا يستطيعان أن يذكرنا من الصحابة الذين نزلوا مصر إلا نحو ثلاثمئة صحابي، تجد العجلي يذكر أنه توطن الكوفة وحدها من الصحابة، نحو ألف وخمسمئة صحابي، بينهم نحو سبعين بدرياً، سوى من أقام بها، ونشر العلم بين ربوعها، ثم انتقل إلى بلد آخر، فضلاً عن باقي بلاد العراق)).

وهذا التوطن من هذا الحجم الكبير من الصحابة في الكوفة لا سيما من الكبار منهم كان له الأثر البالغ في تفيقه أهلها، والارتقاء بهم، وهذا محسوس لكل دارس متتبع ذلك؛ لأنه واقع ملموس في زمن الصحابة ومن بعدهم، فعن قتادة عن خيثمة ابن أبي سبرة الجعفي قال: ((أتيت المدينة فسألت الله تعالى أن ييسر لي جليساً صالحاً، وقال إبراهيم: سألت الله أن يرزقني جليس صدق، فيسر لي أبا هريرة فجلست إليه، فقلت: إني سألت الله أن ييسر لي جليساً صالحاً فوفقت لي، فقال: ممن أنت؟ فقلت: من أهل الكوفة جئت لألتمس الخير والعلم. قال حماد: فقال: تسألني وفيكم علماء أصحاب

نفسه متبع في كتب الأحناف ضمناً لمن يراجع كتب الاستدلال لهم ككتاب ((إعلاء السنن))، وغيره، بخلاف ما عند الشافعية من الاعتماد على نقل الثقة عن غيره إلى رسول الله، فهذا هو سبيل الإمام الشافعي للظفر بقول النبي؛ لتأخره زماناً عن الإمام أبي حنيفة والإمام مالك، وتنقله بين البلاد، فلما لم يحصل له ما حصل لهما من النقل المدرسي المتوارث، ولا ضير عليه في ذلك؛ لأن كلاهما أصل الأصول المعتمدة في استخراج الفروع ونقل فعل رسول الله، حتى غدا كل واحد منها لإحكام قواعده راجح في ذاته إذا نظرنا لمسائله من خلال أصوله، مرجوح لمقلد غيره إذا نظر له من خلال أصول غيره.

وتوضيحاً لما أجمل نسط الكلام في مدرسة الكوفة واهتمامها بنقل فعل رسول الله بالطرق المعتمدة المعتمدة ببيان حال صحابته في الكوفة وأصحابهم وأصحاب أصحابهم، لكن هذا البحث اختصر من آخر مطول لاشتراط المجلة أن لا يزيد البحث عن صفحات معينة، فمن أراد الاستفاضة فليراجع الأصل، وهذا أوان البدء، فنقول وبالله التوفيق:

بناء الكوفة:

إن بعد افتتاح العراق في خلافة الفاروق بنيت الكوفة سنة سبع عشرة للهجرة، بناها عمر بن الخطاب على يد سعد بن أبي وقاص^(٩)، وأسكن حولها الفصح من قبائل العرب^(١٠)، فعمر أول من مَصَّر الأمصار: الكوفة، والبصرة، والجزيرة، والشام، ومصر، والموصل، وأنزلها العرب، وخط الكوفة والبصرة خطاً للقبائل، وهو أول من استقضى القضاة في الأمصار، وهو أول من دَوَّن الديوان، وكتب الناس على قبائلهم،

^(٦) ينظر: وفيات الأعيان ١: ٢٠٧، قال ابن جرير: في سنة ١٥ هـ مَصَّر سعد الكوفة، فليحجر. ينظر: تاريخ الخلفاء

١: ١٣١.

^(٧) ينظر: مقدمة نصب الراية ص ٣٠١، والمدخل إلى الفقه الإسلامي ص ٨٦، وغيرها.

^(٨) ينظر: الطبقات الكبرى ٥: ٢٥٥، وغيرها.

^(٩) ينظر: الإرشاد ٢: ٥٣٣، وغيره.

^(١٠) في مقدمة نصب الراية ص ٣٠٤.

ثانياً: تراجم مجتهدي الصحابة الذين سكنوا الكوفة:

١. سعد بن أبي وقاص:

وهو فاتح العراق، وباني الكوفة، وأول وإٍ عليها من قبل عمر بن الخطاب، ثم عزل، ووليها من قبل عثمان بن عفان، وهو أحد العشرة المبشرين بالجنة، وآخرهم موتاً، وكان أحد الفرسان، وأول من رمى بسهم في سبيل الله، وأحد الستة أهل الشورى، وقال عمر: ((إن أصابته الإمرة فذاك، وإلا فليستنن به الوالي))، وكان مجاب الدعوة مشهوراً بذلك، توفي سنة (٥١هـ)^(١١).

٢. عمار بن ياسر:

تولى إمارة الكوفة بعد سعد، فكتب عمر إلى أهل الكوفة: ((أما بعد: فإني قد بعثت إليكم عماراً أميراً، وعبد الله قاضياً ووزيراً، وإنهما من نجباء أصحاب رسول الله ﷺ وممن شهد بدرًا فاسمعوا لهما وأطيعوا فقد آثرتكم بهما على نفسي))^(١٢)، وكان بعثهما ليعلموا أهلها القرآن، ويفقهوهم في الدين، ويجيبوا عن أسئلتهم فيما يقع لهم، قال الشعبي: ((سئل عمار عن مسألة، فقال: هل كان هذا بعد؟ قالوا: لا. قال: فدعونا حتى يكون، فإذا كان تجشمتناه لكم)).

وهو ممن قال فيه رسول الله: (اهتدوا بهدي عمار)^(١٣)، وعن عمر بن الحكم: ((كان عمار يعذب حتى لا يدري ما يقول، وكذا صهيب، وفيهم نزلت: ﴿وَالَّذِينَ هَاجَرُوا فِي اللَّهِ مِنْ بَعْدِ مَا ظَلَمُوا لَنَبِّئَنَّهُمْ فِي الدُّنْيَا حَسَنَةً وَلَا جُزْءَ الْآخِرَةِ أَكْبَرُ لَوْ كَانُوا يَعْلَمُونَ﴾^(١٤))).

^(١١) ينظر: الإصابة ٣: ٧٣-٧٤، وتاريخ الخلفاء ١: ١٥٣، وغيرها.

^(١٢) ينظر: طبقات الشيرازي ص ٢٤، وغيره.

^(١٣) في صحيح ابن حبان ١٥: ٣٢٨، والمستدرک ٣: ٧٩، وجامع الترمذي ٥: ٦٦٨، وغيرها.

^(١٤) النحل: ٤١.

محمد وابن عمه علي بن أبي طالب، وفيكم سعد بن مالك مجاب الدعوة، وفيكم عبدالله بن مسعود صاحب وسائد رسول الله ونعليه، وفيكم حذيفة بن اليمان صاحب رسول الله، وعمار بن ياسر الذي أجاره الله من الشيطان على لسان نبيه، وسلمان صاحب الكتابين، قال قتادة: الكتابان الإنجيل والفرقان^(٩).

فإن الصحابة هم الذين نقلوا لنا هذا الدين عن صاحب الرسالة، وهم أعرف الناس بالإسلام، وأكثرهم فهماً لها؛ لأنهم عايشوا نزول القرآن، وتعلموا أحكامه من النبي، وفقهوا مسائله، قال الإمام الشافعي عنهم: ((أدوا إلينا سنن رسول الله، وشاهدوه والوحي ينزل عليه، فعلموا ما أراد رسول الله عاقماً وخاصاً، وعزماً وإرشاداً، وعرفوا من سننه ما عرفنا وجهلنا، وهم فوقنا في كل علم واجتهاد، وورع وعقل، وأمر استدرك به علم واستنبط به، وآراؤهم لنا أحمد، وأولى بنا من رأينا عند أنفسنا))^(١٠).

ففقهاء مدرسة الكوفة مبني على ما نقله وقال به صحابة رسول الله وفي مقدمتهم ابن مسعود، وهذه ميزة له لا تعدوها ميزة؛ لأنه لا يشك عالم عاقل في أن الصحابة كانوا من أكثر الخلق تتبعاً لآثار النبي في قولهم وسلوكهم، وأشد الناس أمانة على دين الله تعالى، فمن يتمسك بهديهم، فهو على هدى؛ لأنه سائر على شرع الله ﷺ.

وقد بينت كتب التراجم الخاصة بالصحابة كـ((الإصابة)) لابن حجر وغيره الصحابة الذين نزلوا في الكوفة، ولا يمكننا في هذا المقام ذكرهم وحصرهم، وإنما نكتفي بالإشارة في ذكر مشاهيرهم وعرض بعض أسماء غيرهم:

^(٩) ينظر: حلية الأولياء ٤: ١٢٠، وغيرها.

^(١٠) ينظر: عبد الله بن مسعود ص ٢٤٧، وغيره.

فأدخلهما في ذراعه، وأعطاه العصا، وكان يدخل الحجره أمامه بالعصا^(٢٣)، هذا الأمر جعله من أكثر الصحابة حالاً وصفة للنبي، حتى قال عنه حذيفة: ((كان أقرب الناس هدياً، ودلاً، وسمتاً، برسول الله ﷺ ابن مسعود، حتى يتوارى منّا في بيته، ولقد علم المحفظون^(٢٤) من أصحاب محمد ﷺ أن ابن أم عبد هو أقربهم إلى الله زلفى))^(٢٥).

فأي فقه يكون صادراً ممن لازم النبي منذ بدء الإسلام، ولم يكن يحتجب عنه، وكان مشهوراً بالعلم والفضل، حتى شهد له النبي بذلك، لهو أخرى بالقبول والتلقي والعمل من غيره، فهو من أعلى الصحابة مكانة في العلم والفقه، بحيث لا يستغني عنه مثل عمر في فقهه ويقظته^(٢٦)؛ لذلك قال عمر عنه: ((كُنَيْفَ مَلِيٍّ فَفَقْهًا))^(٢٧). وفي رواية: ((علماً))^(٢٨). وقال علي: ((علم القرآن والسنة))^(٢٩). وقال الشعبي: ((ما كان من أصحاب النبي ﷺ أفقه صاحباً من ابن مسعود))^(٣٠). وما ورد في فضل ابن مسعود في كتب السنة شيء كثير جداً^(٣١)، وليس هنا محل استقصائه وإنما التنبيه على علمية وفضل هذا الصحابي الذي قام عليه فقه الكوفة.

فابن مسعود عُني بتفقيه أهل الكوفة، وتعليمهم القرآن من سنة بناء الكوفة إلى أواخر خلافة عثمان عناية لا مزيد عليها، إلى أن امتلأت الكوفة بالقراء، والفقهاء

وكان سلوكه في اقتفاء حال النبي منارة يقتدي بها أهل الكوفة في التواضع وغيره، فعن عبد الله بن أبي الهذيل: ((رأيت عماراً اشترى قنّاً^(١٥) بدرهم، وحمله على ظهره، وهو أمير الكوفة))، توفي سنة (٣٧هـ)^(١٦).

٣. عبد الله بن مسعود:

فقيه الكوفة^(١٧)، وأحد أذكى العالم^(١٨)، وهو من أوائل من أسلم قال ابن مسعود: ((لقد رأيتني سادس ستة، وما على ظهر الأرض مسلم غيرنا))^(١٩)، وهو أول من جهر بالقرآن بمكة بعد رسول الله ﷺ، وكان من أشد الناس ملازمة للنبي، فعن أبي موسى، قال: ((قدمت أنا وأخي من اليمن، فمكثنا حيناً، وما نحسب ابن مسعود وأمه إلا من أهل بيت النبي؛ لكثرة دخولهم وخروجهم عليه))^(٢٠)، ورخص له النبي بما لم يرخص لغيره، فعن ابن مسعود: قال لي رسول الله: ((إذنك عليّ أن ترفع الحجاب، وأن تستمع سواي - أي سري - حتى أنهاك))^(٢١).

وكان من أكثر الصحابة ملازمة للنبي فعن القاسم بن عبد الرحمن قال: ((كان عبد الله يلبس رسول الله نعليه، ثم يمشي أمامه بالعصا، حتى إذا أتى مجلسه نزع نعليه

^(٢٣) ينظر: سير أعلام النبلاء ١: ٤٦٩-٤٧٠، وغيره.

^(٢٤) في سير أعلام النبلاء ١: ٤٧٠: المتجهدون، وقال الذهبي: لعله المجتهدون.

^(٢٥) في جامع الترمذي ٥: ٦٧٣، وقال: حديث حسن صحيح.

^(٢٦) ينظر: مقدمة نصب الراية ص ٣٠١-٣٠٢، وغيرها.

^(٢٧) في مصنف ابن أبي شيبة ٦: ٣٨٤، والمعجم الكبير ٩: ٨٥، وفي مجمع الزوائد ٩: ٢٩١: رجاله رجال الصحيح.

^(٢٨) في مصنف عبد الرزاق ١٠: ١٣، وآثار أبي يوسف ص ١٣٣، والمعجم الكبير ٩: ٣٤٩، في مجمع الزوائد ٦: ٣٠٣: رواه الطبراني ورجاله رجال الصحيح إلا أن قتادة لم يدرك عمر ولا ابن مسعود.

^(٢٩) ينظر: طبقات الشيرازي ص ٢٤، وغيره.

^(٣٠) ينظر: المصدر السابق ص ٢٥، وغيره.

^(٣١) ينظر: مقدمة نصب الراية ص ٣٠١-٣٠٢.

^(١٥) القن: وهو الرطبة من علف الدواب. ينظر: هامش السير ١: ٤٢٣، وغيرها.

^(١٦) ينظر: سير أعلام النبلاء ١: ٤٠٦-٤٢٨، وغيرها.

^(١٧) ينظر: طبقات المحدثين ١: ٢٤، وغيرها.

^(١٨) ينظر: سير أعلام النبلاء ١: ٤٦٢، وغيرها.

^(١٩) في حلية الأولياء ١: ١٢٦، والمستدرک ٣: ٣١٣، وصححه، ووافقه الذهبي، قال الشيخ شعيب: وهو كما قالوا. ينظر: هامش السير ١: ٤٦٤.

^(٢٠) في سيرة ابن هشام ١: ٣١٤، والإصابة ٦: ٢١٥، قال الشيخ شعيب: رجاله ثقات. ينظر: هامش السير ١: ٤٦٦.

^(٢١) سنن النسائي الكبرى ٥: ١٠٣، وصحيح البخاري ٣: ١٣٧٣، وغيرها.

^(٢٢) في صحيح مسلم ٤: ١٧٠٨، وصحيح ابن حبان ١٥: ٥٤٥، وغيرها.

وقوله لقول عمر، وكان لا يكاد يخالفه في شيء من مذهبهم، ويرجع من قوله إلى قوله^(٣٩).

بسبب ذلك نجد التابعي الكبير مسروق يقول: ((شامت أصحاب رسول الله فوجدت علمهم انتهى إلى ستة: نصفهم أهل الكوفة^(٤٠): إلى عمر، وعلي، وعبد الله، ومعاذ، وأبي الدرداء، وزيد بن ثابت، فشامت هؤلاء الستة فوجدت علمهم انتهى إلى عليّ وعبد الله^(٤١)). فعمر لم يتوطن الكوفة، ولكن شيخ الكوفة ابن مسعود كان يتابعه في اجتهاداته، ويترك اجتهاده لاجتهاد عمر، مما جعل فتاوى عمر مصدراً أساسياً في فقه أهل الكوفة، ويدرك ذلك كلّ مشتغل بالاستدلال لمسائل أهل الكوفة، فإنها تكون موافقة لقول عمر .

لهذا قال الإمام الكوثري^(٤٢): ((وبهذا يكون حتى علم عمر قد غذيت به الكوفة وكان مستنداً لهم في فقههم، فإن كان ذلك يكون قد اجتمع لهم علم أصحاب الرسول ﷺ، فحقّ لهم أن يبنوا لمن خلفهم هذا البنيان الفقهي الشامخ الذي بهروا به الأبصار.

وكان بين فقهاء الصحابة من يوصي أصحابه بالالتحاق إلى ابن مسعود، إقراراً منهم بوسع علمه، كما فعل معاذ بن جبل، حيث أوصى صاحبه عمرو بن ميمون الأودي باللاحاق بابن مسعود بالكوفة^(٤٣)؛ لأنه كان من أعظم فقهاء الصحابة أجمعين، توفي بالمدينة سنة (٣٢هـ)^(٤٣). وسيأتي مزيد التفصيل في ذكر تلاميذ هذا الصحابي الجليل فيما بعد.

المحدثين، بحيث أبلغ بعض ثقات أهل العلم^(٣٢) عدد من تفقه عليه، وعلى أصحابه، نحو أربعة آلاف عالم^(٣٣)، قال الإمام السرخسي^(٣٤): ((كان بالكوفة وله أربعة آلاف تلميذ يتعلمون بين يديه حتى روي أنه لمّا قدم علي الكوفة وخرج إليه ابن مسعود مع أصحابه حتى سدوا الأفق، فلمّا رأهم علي قال: ملأت هذه القرية علماً وفقهاً)).

فتلاميذه كانوا علماء الكوفة، الذي يرشدون الناس إلى خيرهم في دنياهم وآخرتهم، ومنازة للمستنيرين بهدي النبي، قال سعيد بن جبيرة: ((كان أصحاب عبد الله سُرح هذه القرية^(٣٥))).

ومعلوم أن علم العالم يظهر بتلاميذه الذين يقومون بنقل مسائله ونشرها بين الناس، فلولا التلاميذ يضيع فقه الإمام كائناً من كان، فهم حلقة نقله إلى الآخرين^(٣٦)، يوضح ذلك قول الإمام الشافعي: ((الليث أفقه من مالك إلا أن أصحابه لم يقوموا به^(٣٧)))، وقد كان ابن مسعود من نفر القلائل من الصحابة الذين تيسر لهم التلاميذ الكثر، فقاموا بنقل علمهم وفقهم الذي ورثوه عن رسول الله، قال علي بن المديني: ((لم يكن من أصحاب النبي أحد له أصحاب يقولون بقوله في الفقه إلا ثلاثة: عبد الله بن مسعود، وزيد بن ثابت، وابن عباس^(٣٨)). وقال محمد بن جرير: ((لم يكن أحد له أصحاب معروفون، حرّروا فتياه ومذاهبه في الفقه غير ابن مسعود وكان يترك مذهبه

^(٣٢) هو الإمام السرخسي في المبسوط ١٦: ٦٨.

^(٣٣) ينظر: مقدمة نصب الراية ص ٣٠٢.

^(٣٤) في المبسوط ١٦: ٦٨.

^(٣٥) ينظر: طبقات الشيرازي ص ٨١، وطبقات ابن سعد ٦: ١٠، وغيرها.

^(٣٦) ينظر: المدخل إلى الفقه الإسلامي ص ١٨١.

^(٣٧) ينظر: وفيات ٤: ١٢٧-١٢٨، وطبقات الشيرازي ص ٧٥-٧٦، والأعلام ٦: ١١٥، وغيرهم.

^(٣٨) ينظر: ابن مسعود ﷺ ص ٢٧٩، وغيره.

^(٣٩) ينظر: مقدمة نصب الراية ص ٣٠٥، والمدخل إلى الفقه الإسلامي ص ٨٩، وابن مسعود ﷺ ص ٢٧٩، وغيرها.

^(٤٠) ينظر: طبقات الشيرازي ص ٢٥، وغيره.

^(٤١) في المعجم الكبير ٩: ٩٤، والجرح والتعديل ٧: ٢٧، وسير أعلام النبلاء ١: ٤٩٣، وصفوة الصفوة ١: ٤٠٣ والطبقات الكبرى ٢: ٣٥١، وعلل المديني ص ٤٢، ومجمع الزوائد ٩: ١٦٠، وينظر: ابن مسعود ﷺ ص ٢٧٩، والمدخل ص ٨٩.

^(٤٢) في مقدمة نصب الراية ص ٣٠٥.

^(٤٣) ينظر: مشاهير علماء الأمصار ١: ١٠، وغيرها.

الشام أبو الدرداء. فإذا التقوا سأل عالم العراق وعالم الشام عالم المدينة، ولم يسألهما^(٥١).

وبانتقال عالم المدينة إلى الكوفة اجتمع علمه وعلم ابن مسعود لأهلها؛ إذ أن باب مدينة العلم، لم يكن بأقل عناية بالعلم من ابن مسعود، فوالى تفتيهم، إلى أن أصبحت الكوفة لا مثيل لها في أمصار المسلمين، في كثرة فقهاءها، ومحدثيها، والقائمين بعلوم القرآن، وعلوم اللغة العربية فيها، بعد أن اتخذها علي بن أبي طالب، عاصمة الخلافة، وبعد أن انتقل إليها أقوياء الصحابة وفقهائهم، توفي سنة (٤٠ هـ)^(٥٢).

وهذا المذكور من حال علي وابن مسعود غيظ من فيض، إذ لا يتسع المقام الإحاطة بحالهما، وإنما المراد التنبيه والإشارة إليه؛ لأن على علمهما المنقول عن رسول الله واجتهادهما وفقههما اعتمد فقه أهل الكوفة، فما من مسألة يطول فيها الكلام على المذهب الحنفي الممثل لمدرسة الكوفة إلا وتجد أنهم يحتجون بما يروى عن علي أو ابن مسعود؛ لما عرف من حالهما، وفضلهما، قال الإمام السرخسي^(٥٣) في مسألة استدلل فيها الإمام أبو حنيفة بقول إبراهيم النخعي: ((وما ذكر هذا على سبيل الاحتجاج بقول إبراهيم؛ لأن أبا حنيفة كان لا يرى تقليد التابعين، وكان يقول هم رجال ونحن رجال، ولكن ظهر عنده أن إبراهيم فيما كان يفتي به يعتمد قول علي وابن مسعود، فإن فقه أهل الكوفة دار عليهما، وكان إبراهيم أعرف الناس بقولهما، فما صح عنه فهو كالمنقول عنهما، فلهذا حشا الكتاب من أقاويل إبراهيم)).

٤. علي بن أبي طالب:

وهو رابع الخلفاء الراشدين الذي قال فيهم رسول الله: (إنه من يعش منكم فسيري اختلافاً كثيراً، فعليكم بسنتي وسنة الخلفاء الراشدين المهديين، فتمسكوا بها وعضوا عليها بالنواجذ، وإياكم ومحدثات الأمور، فإن كلَّ محدثة بدعة، وكل بدعة ضلالة)^(٤٤).

وقد تربى في بيت النبوة، وتزوج قرعة عين المصطفى، لذلك قال فيه: (علي مني، وأنا من علي)^(٤٥)، وقال: (أنت مني بمنزلة هارون من موسى إلا أنه لا نبي بعدي)^(٤٦).

وكان من كبار علماء ومجتهدي الصحابة، حتى بعثه النبي إلى اليمن ليعلم ويفتي أهلها، وقال فيه: (أنا مدينة العلم وعلي بابها)^(٤٧)، وقال عمر: ((علي أقضانا))^(٤٨). وعن سعيد بن المسيب: ((كان عمر يتعوذ من مُعضلة ليس فيها أبو الحسن))^(٤٩). وعن عائشة - رضي الله عنها - أن علياً ذكر عندها فقالت: (أما إنه أعلم من بقي بالسنة)^(٥٠).

وقال مسروق: ((انتهى العلم إلى ثلاثة: عالم بالمدينة، وعالم بالشام، وعالم بالعراق. فعالم المدينة علي بن أبي طالب، وعالم العراق عبد الله بن مسعود، وعالم

^(٤٤) في صحيح ابن حبان ١: ١٧٩، والمستدرک ١: ١٧٤، والمسند المستخرج ١: ٣٥، وسنن الدارمي ١: ٥٧، وغيرها.

^(٤٥) في جامع الترمذي ٥: ٦٣٦، وحسنه، وسنن ابن ماجه ١: ٤٤، ومصنف ابن أبي شيبة ٦: ٣٧١، ومسند أحمد ٤: ١٦٥، ومسند أبي يعلى ١: ٢٩٣، والمعجم الكبير ٤: ١٦، وغيرها.

^(٤٦) في صحيح مسلم ٤: ١٨٧٠، وصحيح البخاري ٣: ١٣٥٩، وغيرها.

^(٤٧) في المستدرک ٣: ١٣٧، وصححه، والمعجم الكبير ١١: ٦٥، قال السيوطي في تاريخ الخلفاء ص ١٧٠: هذا حديث حسن على الصواب. لا صحيح كما قال الحاكم، ولا موضوع كما قاله جماعة منهم ابن الجوزي والنووي، وقد بينت حاله في التعقبات على الموضوعات.

^(٤٨) في المستدرک ٣: ٣٤٥، ومصنف ابن أبي شيبة ٦: ١٣٨، ومسند أحمد ٥: ١١٣، وغيرها.

^(٤٩) ينظر: فتح الباري ١٣: ٣٤٣، وتهذيب الكمال ٢٠: ٤٨٥، وتهذيب التهذيب ٧: ٢٩٦، وصفوة الصفوة ١: ٣١٤، والاستيعاب ٣: ١١٠٣، والطبقات الكبرى ٢: ٣٣٩، والإصابة ٤: ٥٦٨، وتاريخ الخلفاء ص ١٧١، وغيرها.

^(٥٠) ينظر: تاريخ الخلفاء ص ١٧١، وغيرها.

^(٥١) ينظر: المصدر السابق ص ٢٣، وغيره.

^(٥٢) ينظر: المدخل إلى الفقه الإسلامي ص ٨٨، وغيره.

^(٥٣) في المبسوط ١١: ٢.

٧. سلمان الفارسي:

وهو من مشاهير الصحابة الذي ورد في حكمته وفضله آثار عديدة يضيق المكان عن بسطها، نقتصر منها على ما قاله حميد بن هلال: ((أُوخي بين سلمان وأبي الدرداء، فسكن أبو الدرداء الشام، وسكن سلمان الكوفة، وكتب أبو الدرداء إليه: سلامٌ عليكم. أما بعد، فإن الله رزقني بعدك مالاً وولداً، ونزلت الأرض المقدسة. فكتب إليه سلمان: اعلم أن الخير ليس بكثرة المال والولد، ولكن الخير أن يعظم حلمك، وأن ينفكك علمك، وإن الأرض لا تعمل لأحد، اعمل كأنك ترى، واعدد نفسك من الموتى)). توفي بالمداين سنة (٣٦هـ)^(٥٨).

٨. البراء بن عازب:

وهو ممن استصغر يوم بدر، وشهد خمسة عشر غزوة، وما قدم النبي المدينة حتى قرأ سوراً من المفصل، وكان ممن بعثه النبي إلى اليمن مع علي، ثم رجع معه، فأدركوا حجة الوداع سنة عشر^(٥٩). قال الذهبي^(٦٠): ((الفقيه الكبير أبو عمارة الأنصاري الحارثي المدني نزيل الكوفة من أعيان الصحابة)). توفي سنة (٧٢هـ).

ثالثاً: ذكر بعض الصحابة الذين نزلوا الكوفة:

سبق أن ذكرنا أنه نزل الكوفة ما فاق عن الألف والخمسمئة صحابي، ولا يمكننا في هذا المقام ذكرهم وبيان حالهم، وإنما نمثل بذكر بعضهم:

٥. أبو موسى الأشعري:

وهو ممن ولي إمرة الكوفة والبصرة لعمر، وجاهد عن النبي، وحمل عنه علماً كثيراً، واستعمله رسول الله ومعاذاً على زيد، وعَدَن، واستعمله عثمان على الكوفة، وكان عمر إذا رآه قال: ((ذَكِّرنا ربنا يا أبا موسى)). فيقرأ عنده. وكان أبو موسى هو الذي فقه أهل البصرة وأقرأهم، سكن الكوفة وتفقه به أهلها حتى استعمله عثمان عليهم بعد عزل سعيد بن العاص^(٥٤).

وقال الشعبي: ((يؤخذ العلم عن ستة: عمر، وعبد الله، وزيد، يشبه علمهم بعضه بعضاً، وكان علي، وأبي، وأبو موسى يشبه علمهم بعضه بعضاً، يقتبس بعضهم من بعض))^(٥٥).

٦. حذيفة بن اليمان:

وهو من نجباء أصحاب النبي، وهو صاحب السر، بعثه عمر على المدائن، فقرأ عهده عليهم، فقالوا: سل ما شئت، قال: طعاماً أكله، وعلف حماري هذا ما دمت فيكم من تين. فأقام فيهم ما شاء الله، ثم كتب إليه عمر: اقدم. فلما بلغ عمر قدمه، كمن له على الطريق؛ فلما رآه على الحال التي خرج عليها، أتاه فالتزمه، وقال: أنت أخي، وأنا أخوك. قال أبو إسحاق: ((كان حذيفة يجيء كل جمعة إلى الكوفة))^(٥٦).

والكلام في فضله ومكانته طويل، أكتفي منه بقول علي: ((عَلِمَ المنافقين، وسأل عن المعضلات، فإن تسألوه تجدوه بها عالماً))^(٥٧)، توفي بالمداين سنة (٣٦هـ).

^(٥٤) ينظر: الإصابة ٤: ٢١١-٢١٣، وسير أعلام النبلاء ٢: ٣٨٠-٣٨١، وغيرها.

^(٥٥) ينظر: سير أعلام النبلاء ٢: ٣٨٩، وغيرها.

^(٥٦) ينظر: سير أعلام النبلاء ٢: ٣٦٦، وغيرها.

^(٥٧) قال الشيخ شعيب في هامش السير ٢: ٣٦٣: رجاله ثقات.

^(٥٨) ينظر: سير أعلام النبلاء ١: ٥٤٨، ٥٥٤، وغيرها.

^(٥٩) ينظر: التحفة اللطيفة في تاريخ المدينة ١: ٢١١، وغيرها.

^(٦٠) في سير أعلام النبلاء ٣: ١٩٤-١٩٥.

٨. جابر بن طارق بن أبي طارق الأحمسي البجلي، وكان من أهل القادسية، سكن الكوفة^(٦٨).
٩. جرير بن عبد الله بن جابر البجلي الصحابي الشهير، وكان جرير جميلاً، قال عمر: ((هو يوسف هذه الأمة))، وقدمه عمر في حروب العراق على جميع بجيلة، مات سنة (٥١ هـ)^(٦٩).
١٠. جعدة بن خالد بن الصمة الجشمي، قال ابن السكن: ((إنه نزل الكوفة))^(٧٠).
١١. جندب بن عبد الله بن سفيان البجلي، ثم العلقي، أبو عبد الله، سكن الكوفة، ثم البصرة، قدمها مع مصعب بن الزبير، وروى عنه أهل المصرين^(٧١).
١٢. الحارث بن سويد التميمي (أبو عائشة) يقال: أدرك الجاهلية، ونزل الكوفة^(٧٢).
١٣. حبة بن خالد الخزاعي، صحابي، نزل الكوفة^(٧٣).
١٤. حُبشي بن جنادة بن نصر السلولي، صحابي، شهد حجة الوداع، ثم نزل الكوفة، يكنى أبا الجُئوب، صرح بسماعه من النبي، وقال العسكري: ((شهد مع علي مشاهدته))^(٧٤).
١٥. الحجاج بن عبد الله الثقفي، ذكره خليفة فيمن نزل البصرة، ثم الكوفة من الصحابة^(٧٥).

^(٦٧) ينظر: الإصابة ١: ٤٣١، وغيرها.

^(٦٨) ينظر: المصدر السابق ١: ٤٣٢، وغيرها.

^(٦٩) ينظر: المصدر نفسه ١: ٤٧٥، وغيرها.

^(٧٠) ينظر: نفس المصدر ١: ٤٨٣، وغيرها.

^(٧١) ينظر: الإصابة ١: ٥٠٩، وغيرها.

^(٧٢) ينظر: المصدر السابق ٢: ١٥٧، وغيرها.

^(٧٣) ينظر: المصدر نفسه ٢: ١٤، وغيرها.

^(٧٤) ينظر: الإصابة ٢: ١٣، وغيرها.

^(٧٥) ينظر: المصدر نفسه ٢: ٣٣، وغيرها.

١. الأغلب بن جثم بن عمرو العجلي الراجز المشهور. قال ابن قتيبة: ((أدرك الإسلام فأسلم، وهاجر ثم كان ممن سار إلى العراق مع سعد فنزل الكوفة واستشهد في وقعة نهاوند))^(٦١).
٢. أنس بن الحارث بن نبيه، وقال ابن منده: ((عداده في أهل الكوفة)). وقال البخاري: ((قتل مع الحسين ابن علي))^(٦٢).
٣. أهبان بن أوس الأسلمي، قديم الإسلام صلى القبلتين، ونزل الكوفة، ومات بها في ولاية المغيرة، قال البخاري: ((له صحبة يعد في أهل الكوفة))^(٦٣).
٤. بشير بن معبد أبو معبد الأسلمي، قال ابن حبان: ((له صحبة، عداده في أهل الكوفة)). وقال البخاري: ((له صحبة، حديثه في الكوفيين))^(٦٤).
٥. بُليل بن بلال بن أحيحة الأنصاري، ذكره خليفة فيمن نزل الكوفة من الصحابة. وقال العدوي: ((شهد أحداً وما بعدها))^(٦٥).
٦. ثابت بن قيس بن الخطيم الأنصاري الظفري، وقال أبو عمر: ((هو مذكور في الصحابة، استعمله سعيد ابن العاصي على الكوفة لما طلبه عثمان لشكوى أهل الكوفة منه))^(٦٦).
٧. جابر بن سمرة بن جنادة العامري السوائي، أخرج له أصحاب الصحيح، وعن جابر قال: ((جالست النبي أكثر من مائة مرة)). قال ابن السكن: ((نزل الكوفة، وابتنى بها داراً، وتوفي فيها سنة ٧٤ هـ))^(٦٧).

^(٦١) ينظر: الإصابة ١: ٩٨، وغيرها.

^(٦٢) ينظر: المصدر السابق ١: ١٢١، وغيرها.

^(٦٣) ينظر: المصدر نفسه ١: ١٤١، وغيرها.

^(٦٤) ينظر: نفس المصدر ١: ٣١٤، وغيرها.

^(٦٥) ينظر: الإصابة ١: ٣٢٩، وغيرها.

^(٦٦) ينظر: المصدر السابق ١: ٣٩٣، وغيرها.

جامعة من المؤرخ الذهبي توضح ذلك، إذ قال^(٨١): ((أفقه أهل الكوفة علي وابن مسعود، وأفقه أصحابهما علقمة، وأفقه أصحابه إبراهيم، وأفقه أصحاب إبراهيم حماد، وأفقه أصحاب حماد أبو حنيفة، وأفقه أصحابه أبو يوسف، وانتشر أصحاب أبي يوسف في الآفاق، وأفقههم محمد، وأفقه أصحاب محمد أبو عبد الله الشافعي)).

قال المحدث الكبير الشيعي: ((ما كنت أعرف فقهاء الكوفة إلا أصحاب عبد الله قبل أن يقدم علينا علي، ولقد كان أصحاب عبد الله يسمون قناديل المسجد أو سرج المصر))^(٨٢).

وقال إبراهيم التيمي: ((كان فينا ستون شيخاً من أصحاب عبد الله))^(٨٣). وليس المقصد من كلامهم حصرهم، وإنما بيان أرفعهم وأعلامهم مكانة من المشهورين المعروفين، وإلا فقد فاق أعدادهم آلاف على ما سيأتي.

أولاً: صفات أصحاب ابن مسعود وعلي:

وفي الصفة العامة للعلماء الكبار الذين ربّاهم ابن مسعود يقول الحافظ الشيعي: ((ما رأيت أحداً كان أعظم حلماً، ولا أكثر علماً، ولا أكف عن الدماء من أصحاب عبد الله، إلا ما كان من أصحاب رسول الله))^(٨٤). ولا غرابة في ذلك؛ لأنهم تعلموا وتادبوا على أفضل الخلق بعد الأنبياء، وهم صحابة الرسول الكريم، وفي طليعتهم علي الذي تربى في حجر النبي، وابن مسعود الذي وصفه حذيفة كما مرّ: ((إنه أقرب الناس هدياً ودلاً وسمتاً برسول الله)).

١٦. حذيفة بن أسيد الغفاري، أبو سريحة، شهد الحديبية، وذكر فيمن بايع تحت الشجرة، ثم نزل الكوفة، روى عنه الشعبي وغيره، توفي سنة (٤٢هـ)^(٧٦).

١٧. حصين بن سبرة، له إدراك، وسمع من عمر، نزل الكوفة، روى عنه إبراهيم التيمي، ذكره البخاري أيضاً^(٧٧).

١٨. حنظلة بن الربيع بن صيفي، روى عن النبي، وكتب له وأرسله إلى أهل الطائف فيما ذكر ابن إسحاق، وشهد القادسية، ونزل الكوفة^(٧٨).

١٩. خباب بن الأرت بن جندلة التيمي، أبو عبد الله، أول من أظهر إسلامه، وشهد خباب بدرًا، وما بعدها، ونزل الكوفة ومات بها سنة (٣٧هـ)^(٧٩).

٢٠. ذُكِين بن سعيد الخثعمي، وهو معدود فيمن نزل الكوفة من الصحابة^(٨٠)، وتماهم في الأصل.

الطبقة الثانية: أصحاب ابن مسعود وعلي:

تمهيد:

إن مؤسس مدرسة الكوفة هم صحابة رسول الله الذين رويوا فعله وقوله إلى أهل الكوفة، وعلى رأسهما ابن مسعود وعلي بن أبي طالب، وبانيها هم التابعون من تلاميذ الصحابة الذي حلّوا فيها وفي مقدمتهم علقمة والأسود ومسروق وشريح، فإنهم حافظوا على ما ورثوه من فقه الصحابة، وما نقلوه عن رسول الله، وأضافوا إليه ما جدّ من فروع بنوها على ما عرفوه، وهكذا الحال فيمن بعدهم كما سيأتي، وهذه كلمة

^(٧٦) ينظر: المصدر السابق ٢: ٤٣، وغيرها.

^(٧٧) ينظر: نفس المصدر ٢: ١٧٤، وغيرها.

^(٧٨) ينظر: المصدر نفسه ٢: ١٣٤، وغيرها.

^(٧٩) ينظر: الإصابة ٢: ٢٨٥، وغيرها.

^(٨٠) ينظر: الإصابة ٢: ٣٩٠، وغيرها.

^(٨١) في سير أعلام النبلاء ٥: ٢٣٦.

^(٨٢) ينظر: سير أعلام النبلاء ٤: ٣٠٩، وغيرها.

^(٨٣) ينظر: طبقات ابن سعد ٦: ١٠، وغيرها.

^(٨٤) ينظر: المصدر السابق ٦: ١١-١٢، وغيرها.

ثالثاً: ترجمة مشاهير أصحابهما:

بعد ذكر مجموعة من أصحابهما، يحسن بنا أن نُسلِّطَ الضوءَ على أبرز هؤلاء الأصحاب بذكر شيء من أحوالهم، يكون فيه تمام التصور لهذا الحلقة من حلقات مدرسة الكوفة:

١. علقمة بن قيس النخعي، أبو شبل الكوفي، وهو أبرز من نقل علم ابن مسعود، حتى شهد له ابن مسعود بذلك فقال: ((لا أعلم شيئاً إلا وعلقمة يعلمه)). وقال عثمان: ((علقمة أعلم بعبد الله)). وقال ابن المديني: ((أعلم الناس بعبد الله علقمة والأسود وعبيدة والحارث)). وقال داود بن أبي هند: ((قلت للشعبي: أخبرني عن أصحاب عبد الله كأنني أنظر إليهم. قال: كان علقمة أبطن القوم به، وكان مسروق قد خلط منه ومن غيره، وكان الربيع بن خيثم أشد القوم اجتهاداً، وكان عبيدة يوازي شريحاً في العلم والقضاء)).

ولم يكن علمه مقتصرًا على ابن مسعود وعلي والصحابة الذين حلّوا في الكوفة فقط، بل شمل غيرهم من كبار فقهاء الصحابة في البلاد الأخرى، فإن له رحلة إلى أبي الدرداء بالشام، وإلى عمر، وزيد، وعثمان بن عفان وعائشة بالمدينة، وهو ممن جمع علوم الأمصار، توفي بالمدينة في سنة (٦٢هـ)^(٨٦).

٢. مسروق بن الأجدع الهمداني، معمر مخضرم، أدرك الجاهلية، روى عن عمر، وعلي، وعبد الله، وخباب، وأبي بن كعب، وعبد الله بن عمرو، وعائشة، وله رحلات واسعة في العلم، حتى قال الشعبي عنه: ((ما رأيت أحداً أطلب للعلم في أفق من الآفاق من مسروق)). وهذا الكلام ينقض ما توهمه بعضهم من أن الرحلة في طلب الحديث والعلم كان في عصر الشافعي وأحمد، مما أوصلهم إلى تضعيف ردّ كثير من

فلم يكن علمهم الذي ورثوه عن الصحابة مقتصرًا على ألفاظ مجردة جافة، بل شمل الخلق والسلوك مع القول والفعل، فكانوا أعظم من حمل الإسلام عن رسول الله، بكل ما فيه من قول وعمل وعقيدة وسلوك، وكانوا أحرص الناس على ذلك في حياتهم، حتى كتب الله لهم القبول، ونشر علم هذه المدرسة الممثلة للإسلام الحق بمعنى الكلمة إلى أرجاء الأرض، فأصبح عامة المسلمين في بقاع الأرض يتعبدون الله على ما ورثوه عن مدرسة الكوفة، وشمل ذلك الدول المتعاقبة في الإسلام في الحكم والتطبيق في القضاء وغيره لفقهاء هذه المدرسة الأمانة العظيمة العريقة.

ثانياً: ذكر أسماء بعض أصحابهما:

إن من أراد الاستفاضة في معرفة أصحاب ابن مسعود وعلي فليراجع ((الطبقات الكبرى)) لابن سعد، فإنه أورد أسماء الذين روى عن ابن مسعود، وترجم لهم، وأحاط بشيء من أخبارهم، وقد قسمهم إلى عدّة طبقات، أذكرهم هاهنا كما فعل العلامة عبد الستار الشيخ^(٨٥) على سبيل الإجمال والإيجاز ليتبين لنا كم كان العلم الذي نشره عبد الله والصحابة عامة، ثم مدى إقبال أولئك العظماء على الصحابة ليأخذوا عنهم ما حفظوه عن رسول الله:

(١) طارق بن شهاب. (٢) قيس بن أبي حازم. (٣) رافع بن أبي رافع. (٤) سويد بن غفلة. (٥) الأسود بن يزيد. (٦) مسروق بن الأجدع. (٧) سعيد بن نمران. (٨) النزال بن سبرة. (٩) زهرة بن حميضة. (١٠) معدي يكر. (١١) علقمة بن قيس. (١٢) عبيدة بن قيس. (١٣) أبو وائل. (١٤) زيد بن وهب. (١٥) عبد الله بن سَخْبَرَة. (١٦) يزيد بن شريك. (١٧) أبو عمرو الشيباني. (١٨) زر بن حبيش. (١٩) عمرو بن شرحبيل. (٢٠) عبد الرحمن ابن أبي ليلى. (٢١) عبد الله بن عكيم. (٢٢) عبد الله بن أبي الهذيل. (٢٣) حارثة بن مُضَرَّب. (٢٤) عبد الله ابن مسلمة. (٢٥) مرّة بن شراحيل، وتمامه في الأصل.

(٨٦) ينظر: طبقات الحفاظ ١: ٢٠، وتهذيب الكمال ٢٠: ٣٠٠-٣٠٨. والتقريب ص ٣٣٧، وطبقات الشيرازي ص ٧٩، والطبقات الكبرى ٦: ٨٦، ومقدمة نصب الراية ص ٣٠٤-٣٠٥، وغيرها.

(٨٥) في كتابه النافع الماتع: ابن مسعود عميد حملة القرآن، وكبير فقهاء الإسلام ص ٢٨٢-٢٨٤.

وكان عالماً كبيراً بصيراً بمعرفة الفرائض، حتى أن مثل القاضي شريح المعروف بكمال اليقظة في الفقه، وأحكام القضاء، كان يسأله في الفرائض، قال أبو إسحاق: ((كان يقال: ليس بالكوفة أعلم من عبيدة بالفريضة والحارث الأعور، وكان عبيدة يجلس في المسجد، فإذا ورد على شريح فريضة فيها حد رفعها إلى عبيدة، ففرض)). توفي سنة (٧٢هـ)^(٩٠).

٥. عمرو بن ميمون الأودي، من قدماء أصحاب معاذ بن جبل، معبر مخضرم، أدرك الجاهلية، روى عن عمر وعبد الله وسمع من معاذ باليمن في حياة رسول الله، وروى عن أبي مسعود الأنصاري، وعبد الله بن عمرو، وسلمان بن ربيعة، والربيع بن خيثم، وحيج مئة عمرة وحجة، توفي سنة (٧٤هـ)^(٩١).

٦. عبد الله بن حبيب السلمي الكوفي، مقرئ الكوفة الإمام العلم، عرض القرآن على عليّ، وهو عمدته في القراءة، وقد فرغ نفسه لتعليم القرآن لأهل الكوفة بمسجدها، أربعين سنة، ومنه تلقى السبطان الشهيدان القراءة بأمر أبيهما، وعاصم تلقى قراءة عليّ عنه، وهي القراءة التي يرويها حفص عن عاصم، وقراءة عاصم بالطريقين في أقصى درجات التواتر في جميع الطبقات، وعرض السلمي أيضاً على عثمان وزيد بن ثابت.

قال أبو عمرو الداني: ((أخذ القراءة عرضاً عن عثمان وعليّ وزيد وأبي وابن مسعود. أخذ عنه القرآن: عاصم بن أبي النجود، ويحيى بن وثاب، وعطاء بن السائب، وعبد الله بن عيسى، ومحمد بن أبي أيوب، والشعبي، وإسماعيل ابن أبي خالد، وعرض عليه الحسن والحسين رضي الله عنهما)). قال أبو إسحاق: ((كان أبو عبد الرحمن السلمي يقرئ الناس في المسجد الأعظم أربعين سنة)). فهذه النصوص تفيدنا أن علم

^(٩٠) ينظر: الإرشاد ٢: ٥٣٤-٥٣٥، وطبقات الشيرازي ص 80، والتدوين في تاريخ قزوين ١: ١١٨-١١٩، ومقدمة نصب الراية ص ٣٠٤، وابن مسعود ص ٢٨٨، وغيرها.

^(٩١) ينظر: الطبقات الكبرى ٦: ١١٧، ومقدمة نصب الراية ص ٣٠٤، وغيرها.

مسائل من سبقهما بحجة أن الحديث لم يصلهما؛ لتقصير في طلبه، وهذه فرية بلا مرية، سيأتي تفصيل ردها.

ونختم الكلام في ترجمته بكلمة لطيفة منه تبين أن ديننا دين اتباع لا ابتداء، وأن مدرسة الكوفة ما نالت ما عليه من المجد والرفعة إلا بهذا الاتباع لسنن من قبلهم، فهذا مسروق، وهو أحد أعلامها يقول عند موته: ((اللهم لا أموت على أمر لم يسته رسول الله، ولا أبو بكر ولا عمر، والله ما تركت صفراء ولا بيضاء عند أحد من الناس غير سيفي هذا، فكفنونني به)). توفي سنة (٦٣هـ)^(٨٧).

٣. الحارث بن عبد الله الأعور الهمداني، ويسمى راوية علي، كما كان يسمى سعيد ابن المسيب راوية عمر، وما ذلك إلا لحرصهما على تتبع لكل ما كان يصدر عن هذين الصحابين من قول وفعل.

وكان يعد من أكابر علماء الكوفة، قال ابن سيرين: ((أدرت الكوفة وهم يقدمون خمسة من بدأ بالحارث ثنى بعبيدة ومن بدأ بعبيدة ثنى بالحارث ثم علقمة الثالث ثم مسروق ثم شريح)). توفي سنة (٦٥هـ)^(٨٨).

٤. عبيدة بن عمرو^(٨٩) المرادي السلماني، أبو مسلم، وهو من كبار فقهاء التابعين من أهل الكوفة من أصحاب ابن مسعود سمع عمر وعلياً والزبير ابن العوام، قال ابن سيرين: ((قدمت الكوفة وبها خمسة من العلماء: عبيدة وعلقمة ومسروق والحارث والضحاك)).

^(٨٧) ينظر: الإرشاد ٢: ٥٣٤، والطبقات الكبرى ٦: ٧٦-٧٨، وتقريب التهذيب ص ٤٦٠، وتسمية فقهاء الإمبراطور ١: ١٢٨، ومقدمة نصب الراية ص ٣٠٥، وابن مسعود ص ٢٩٠-٢٩٢، وكشف الظنون ١: ٤٣٠، وأبجد العلوم ٢: ١٨٠.

^(٨٨) ينظر: النجوم الزاهرة ١: ١٨٥، وتهذيب الكمال ٥: ٢٤٤-٢٥٢، وطبقات الشيرازي ص ٨١، والتقريب ص ٨٦، وغيرهم.

^(٨٩) وقال ابن قتيبة: هو عبيدة بن قيس، والأشهر الأول، كما في التدوين في تاريخ قزوين ١: ١١٨-١١٩.

بين العامة والخاصة، قال ابن سيرين: ((إن شيوخ أهل الكوفة أربعة: عبيدة السلماني، والحارث الأعور، وعلقمة بن قيس، وشريح وكان أحسنهم)). توفي سنة (٨٠هـ)^(٩٤).

٩. زر بن حُبَيْش بن حباشة الأسدي، أبو مريم، معبّر مخضرم، أدرك الجاهلية والإسلام، ولم ير النبي، مقرئ الكوفة مع السلماني، كان يؤم الناس في التراويح، وهو ابن مئة وعشرين سنة، وهو راوية قراءة ابن مسعود، ومنه أخذها عاصم. وكان زُرٌّ من أعرب الناس، وكان ابن مسعود يسأله عن العربية، توفي سنة (٨٣هـ) بوقعة دير الجماجم^(٩٥).

١٠. سويد بن غَفَلَةَ المَذْحِجِي، أبو أمية الجُعْفِي، مخضرم، من كبار التابعين، ولد عام الفيل، قدم المدينة يوم دفن النبي، وكان مسلماً في حياته، ثم نزل الكوفة، وصحب أبا بكر، ومن بعده، توفي سنة (٨٠هـ)^(٩٦).

١١. عبد الرحمن بن أبي ليلي، أدرك مئة وعشرين من الصحابة كما مرّ، وولي القضاء، قال الذهبي^(٩٧): ((من أئمة التابعين وثقاتهم)). توفي سنة (٨٣هـ)^(٩٨).

١٢. شقيق بن سلمة الأسدي أسد خزيمة الكوفي، أبو وائل، أدرك النبي ولم يره، وحدث عن عمر، وعثمان، وعلي، وعمار، ومعاذ، وابن مسعود، وأبي الدرداء، وأبي موسى، وحذيفة وعائشة، وخباب، وأسامة بن زيد، والأشعث بن قيس، وسلمان بن ربيعة، وسهل بن حنيف، وشيبة بن عثمان، وعمرو بن الحارث المصطلق، وقيس بن أبي غرزة، وأبي هريرة، وأبي الهياج الأسدي، وخلق سواهم. وقال أبو عبيدة: ((أعلم أهل الكوفة بحديث ابن مسعود)). قال الأعمش: ((قال لي إبراهيم النخعي: عليك

أهل الكوفة الذي ورثوه عن صحابة رسول الله لم يكن مقتصرًا على الفقه والحديث والسلوك فحسب، بل شمل كيفية قراءة النبي للقرآن، فمن أهل الكوفة أبرز من عرف بالتلقي للقرآن، ومن إليه المنتهى في قراءته، توفي سنة (٧٤هـ)^(٩٢).

٧. الأسود بن يزيد بن قيس النخعي، مُعَبَّر مخضرم، روى عن أبي بكر، وعمر، وعلي، وابن مسعود، ومعاذ بن جبل، وسلمان، وأبي موسى، وعائشة، حج ثمانين، ما بين حجة وعمرة وهو ابن أخ علقمة، وكان خال إمام أهل العراق، إبراهيم النخعي، وهو من قالت فيه عائشة رضي الله عنها: ((ما مات رجل بالعراق أكرم عليّ من الأسود)).

وكان مع علمه الوفير عابداً زاهداً، قال الذهبي: ((ورد أنه كان يصلي في اليوم والليلة سبعة ركعة)). عن علي بن مدرك: ((إن علقمة كان يقول للأسود: لم تعذب هذا الجسد؟! فيقول: إنما أريد له الراحة)). توفي سنة (٧٤هـ)^(٩٣).

٨. شريح بن الحارث الكندي الكوفي، أبو أمية، مُعَبَّر مخضرم، ولي قضاء الكوفة في عهد عمر وعثمان وعلي ومعاوية ستين سنة إلى أيام الحجاج فاستعفى، وله مئة وعشرون سنة، فمات بعد سنة، وهو الذي يقول فيه علي بن أبي طالب: ((قم يا شريح! فأنت أفضى العرب)). فناهيك بقاضٍ يكون مَرْضِيَّ القضاء في عهد الراشدين، وفي الدولة الأموية طول هذه المدة، وقد عُدَّ بأفضيته الدقيقة، فقه أهل الكوفة، ودربهم على الفقه العلمي.

فهذا أشهر قضاة الإسلام، المشهود لهم بالمكانة السامية الرفيعة، من أهل الكوفة، ومن ناشري الفقه في ربوعها؛ إذ أن من كان بهذه المنزلة تكون أفضيته مشهورة متداولة

^(٩٤) ينظر: طبقات الحفاظ ١: ٢٧، وفيات الأعيان ٢: ٤٦٠-٤٦٣، ومراة الجنان ١: ١٥٨-١٥٩، والعبر ١: ٨٩ وطبقات الشيرازي ص ٨٠-٨١، والأعلام ٣: ٢٣٦، ومقدمة نصب الراية ص ٣٠٥، وغيرهم.

^(٩٥) ينظر: سير أعلام النبلاء ١: ١٦٦، ومقدمة نصب الراية ص ٣٠٤، والأعلام ٣: ٧٥، وغيرها.

^(٩٦) ينظر: تقريب التهذيب ص ٢٠١، ومقدمة نصب الراية ص ٣٠٤، وغيره.

^(٩٧) في الميزان ٤: ٣١١.

^(٩٨) ينظر: ميزان الاعتدال ٤: ٣١١، ومقدمة نصب الراية ص ٣٠٥، وغيرها.

^(٩٢) ينظر: سير أعلام النبلاء ٤: ٢٦٧-٢٦٨، ومعرفة القراء الكبار ١: ٥٢-٥٣، ومقدمة نصب الراية ص ٣٠٤، وابن مسعود ص ٢٩٤-٢٩٥، وغيرها.

^(٩٣) ينظر: العبر ١: ٨٦. والتقريب ص ٥٠، وطبقات الشيرازي ص ٧٩، ومقدمة نصب الراية ص ٣٠٥، وابن مسعود ص ٢٨٩-٢٩٠، وغيرها.

أهل الكوفة الذين لا يحصون عدداً، ولا نملك في هذا المقام إلا الإشارة إليهم وذكر مشاهيرهم.

ومما يلفت الانتباه إلى كثرة العلماء في الكوفة في تلك الحقبة أن الذين خرجوا مع عبد الرحمن ابن محمد بن الأشعث على الحجاج الثقفي في دير الجماجم سنة (٨٣هـ) من الفقهاء والقراء خاصة ممن أدرك صحابة رسول الله، قال الإمام الجصاص^(١٠٣): ((وخرج عليه من القراء أربعة آلاف رجل، هم خيار التابعين، وفقهاؤهم، فقاتلوه مع عبد الرحمن بن محمد بن الأشعث)).

وهذا يوضح العدد الهائل من العلماء والفقهاء المخلصين والمجاهدين في الكوفة رعاية لدين الله ﷺ، ودفعاً للظلم وأهله، قال الإمام الكوثري^(١٠٤): ((إذا نظرت إلى علماء سائر الأمصار يعدُّ من أحسنهم حالاً من يهاجر أباه، ومن يقبل جوائز الحكام، ويساير أهل الحكم، وقَلَّ بينهم مَنْ يخطر له على بال مقاومة الظلم، وبذل كل مرتخص وغال في هذا السبيل، فبذلك أصبحت أحوال الكوفة في أمر الدين والخُلُق والفقهِ وعلم الكتاب والسنة واللغة العربية ماثلة أمام الباحث المنصف، فيحكم بما تمليه التَّصَفَّة في الموازنة بين علماء الأمصار.

وهذا مما يجعل للكوفة مركزاً لا يسامى على توالي القرون، ولولا ذلك لما كانت الكوفة معقل أهل الدين، يفرّ إليها المضطهدون، طول أيام الجور في عهد الأموية)).

بشقيق فإني أدركت الناس وهم متوافرون وإنهم ليعدونهم من خيارهم)). ووصفه الذهبي: ((بالإمام الكبير شيخ الكوفة، وكان من أئمة الدين)). توفي سنة (٨٢هـ)^(٩٩).

١٣. عبد الرحمن بن عبد الله بن مسعود الهذلي، كان من الطبقة الأولى من التابعين من أهل الكوفة روى عن علي وابن مسعود^(١٠٠).

١٤. قيس بن أبي حازم الأحمسي البجلي الكوفي، وقد جاوز المئة، سمع أبا بكر وطائفة من البدرين، وكان من علماء الكوفة. توفي سنة (٩٧هـ)^(١٠١).

فحاصل الكلام مما سبق أن هؤلاء التابعين الذين صحبوا صحابة رسول الله في الكوفة وغيرها كانوا شديدي الملازمة لهم، وحريصين على اقتفاء أثرهم وهدْيهم في كل أمرهم، فلم يفوتهم شيء من قولهم ولا فعلهم ولا سلوكهم إلا وحملوه ونقلوه إلى مَنْ بعدهم، وفي مقدمة هؤلاء الصحابة علي وابن مسعود؛ لأنهم أشهر من توطَّن الكوفة وعلم أهلها، ولم يقتصر علم هؤلاء التابعين على من حلَّ من الصحابة بالكوفة، بل رحلوا إلى البلاد وجمعوا علم أصحاب رسول الله فيها، وفي مقدمتها مكة والمدينة، فدين الله حفظ بهؤلاء الثقات الأثبات من الفقهاء فيما نقلوا، وفيما أفتوا، قال الإمام الكوثري^(١٠٢): ((وأكثر هؤلاء لقوا عمر وعائشة أيضاً، وأخذوا عنهما، وهؤلاء كانوا يفتون بالكوفة، بمحضر الصحابة، فجمعوا فقه أصحاب رسول الله ﷺ وحديثهم)).

الطبقة الثالثة: أصحاب أصحابهما:

فهذا الدين محفوظ بنص كتاب الله ﷺ، وحفظته أئمة عدول في كلِّ جيل من العلماء العاملين المنصفين، فقد تتلمذ على أصحاب علي وابن مسعود خيرة القوم من

^(٩٩) ينظر: طبقات الحفاظ ١: ٢٨، وسير أعلام النبلاء ٤: ١٦١-١٦٣، وغيرها.

^(١٠٠) ينظر: النجوم الزاهرة ١: ١٩٩، وغيرها.

^(١٠١) ينظر: العبر ١: ١١٥، وغيرها.

^(١٠٢) في مقدمة نصب الراية ص ٣٠٥-٣٠٦.

^(١٠٣) في أحكام القرآن ١: ٧١.

^(١٠٤) في مقدمة نصب الراية ص ٣٠٦-٣٠٧.

٤. ربعي بن حراش، أحد علماء الكوفة وعبادها، قيل: إنه لم يكذب قط وشهد خطبة عمر بالحديبية، وحلف أن لا يضحك حتى يعلم أفي الجنة هو أم في النار. توفي سنة (٩٩هـ)^(١٠٨).

٥. سالم بن أبي الجعد الغطفاني، قال أبو نعيم: ((وكان ثقة كثير الحديث)). وقال منصور: ((كان سالم إذا حدث حدث فأكثر، وكان إبراهيم إذا حدث جزم، فقلت لإبراهيم، فقال: إن سالمًا كان يكتب)). توفي سالم في خلافة عمر بن عبد العزيز سنة (١٠٠، أو ١٠١هـ)^(١٠٩).

٦. عامر بن أبي موسى الأشعري (أبو بردة)، فقيه أهل الكوفة وقاضياها، قضى في الكوفة بعد شريح، وله مكارم ومآثر مشهورة، توفي سنة (١٠٣هـ)^(١١٠).

٧. يحيى بن وثاب الأسدي الكوفي، القارئ العابد أحد الأعلام، روى عن ابن عباس، وابن عمر، وعن مسروق، وعبيدة السلماني، وزر، وأبي عبد الرحمن السلمي، وأبي عمرو الشيباني، وعلقمة، والأسود، وقرأ على بعضهم. قال الطبري: ((كان مقرئ أهل الكوفة في زمانه))، توفي سنة (١٠٣هـ)^(١١١).

عامر بن شراحيل الشعبي، وهو من مشاهير علماء هذه الأمة حتى أنه درس بمحضر من الصحابة، فعن ابن سيرين قال: ((قدمت الكوفة وللشعبي حلقة عظيمة وأصحاب رسول الله يومئذ كثير)). بل شهد له كبار الصحابة بالعلم الوافر، فعن ابن عمر لما رآه يحدث بالمغازي: ((لهو أحفظ لها مني، وإن كنت قد شهدتها مع رسول الله ﷺ)). توفي سنة (١٠٤هـ)^(١١٢).

^(١٠٨) ينظر: العبر ١: ١٢١، وشذرات الذهب ١: ١٢١، وغيرها.

^(١٠٩) ينظر: الطبقات الكبرى ٦: ٢٩١، وغيرها.

^(١١٠) ينظر: طبقات الحفاظ ١: ٤٣، وشذرات الذهب ١: ١٣٦، وغيرها.

^(١١١) ينظر: معرفة القراء الكبار ١: ٦٢-٦٣، والتقريب ص ٥٢٧، وغيرها.

^(١١٢) ينظر: حلية الأولياء ٤: ٣١٠، ومرآة الجنان ١: ٢٤٤، وفيات الأعيان ٣: ١٢-١٦، وطبقات الشيرازي

ص ٨٢، والتقريب ص ٢٣٠، والعبر ١: ١٢٧، والأعلام ٤: ١٨.

ومن مشاهير هذه الطبقة:

١. سعيد بن فيروز الطائي، أبو البخترى، وكان من كبار فقهاء الكوفة، روى عن ابن عباس وطبقته. قال سلمة بن كهيل: ((كان أبو البخترى كثير الحديث يرسل حديثه)). وقتل مع من قتل مع ابن الأشعث سنة (٨٣هـ)^(١٠٥).

٢. إبراهيم بن يزيد التيمي (أبو أسماء)، الإمام القدوة الفقيه عابد الكوفة، حدث عن أبيه يزيد بن شريك التيمي، وكان أبوه يزيد من أئمة الكوفة أيضاً يروي عن عمر وأبي ذر والكبار، أخذ عنه أيضاً الحكم وإبراهيم النخعي، وحديثه في الدواوين الستة، توفي سنة (٩٢هـ)^(١٠٦).

٣. سعيد بن جبير بن هشام، جمع علم ابن عباس إلى علمه حتى أن ابن عباس كان يقول حينما رأى أهل الكوفة يأتونه ليستفتوه: أليس فيكم ابن أم الدهماء؟ يعني ابن جبير. يذكرهم ما خصه الله من العلم الواسع، بحيث يغني علمه أهل الكوفة، عن علم ابن عباس. فعن مؤذن بني وداعة قال: ((دخلت على ابن عباس وهو متكئ على مرفقة من حرير وسعيد بن جبير عند رجله وهو يقول له انظر كيف تحدث عني، فإنك قد حفظت عني حديثاً كثيراً)).

ولم يقتصر علمه على أهل مكة، وعلى رأسهم ابن عباس، بل شمل علم أهل المدينة، وفي مقدمتهم ابن عمر، فعن سعيد بن جبير قال: ((كنا إذا اختلفنا بالكوفة في شيء كتبته عندي حتى ألقى ابن عمر فأسأله عنه)). وكثرة دروسه وطلابه لم تشغله عن الانهماك في العبادة، حتى أنه كان يختم القرآن في كل ليلتين. توفي سنة (٩٥هـ)^(١٠٧).

^(١٠٥) ينظر: شذرات الذهب ١: ٩٢، والطبقات الكبرى ٦: ٢٩٣، وغيرها.

^(١٠٦) ينظر: سير أعلام النبلاء ٥: ٦٠، والتقريب ص ٣٥، وغيرها.

^(١٠٧) ينظر: الطبقات الكبرى ٦: ٢٥٧-٢٥٩، والعبر ١: ١١٢، وطبقات الشيرازي ص ٨٢، والأعلام ٣: ١٤٥،

وغيرها.

١١. محارب بن دثار السدوسي الكوفي، الفقيه قاضي الكوفة، وكان ثقة حجة، حدث عن ابن عمر وجابر بن عبد الله وعبد الله بن يزيد الخطمي والأسود بن يزيد وجماعة. حدث عنه: زييد اليامي ومسرور وشعبة والثوري وقيس بن الربيع وعدد كثير. قال سفيان: ((ما يخيل إلي أنني رأيت أحداً أفضله على محارب بن دثار)). وثقه أحمد بن حنبل ويحيى بن معين. قال إدريس: ((رأيت الحكم وحمام بن أبي سليمان في مجلس حكم محارب بن دثار أحدهما عن يمينه والآخر عن شماله)). توفي سنة (١١٦هـ)^(١١٧).

١٢. القاسم بن عبد الرحمن بن الصحابي عبد الله بن مسعود الهذلي (أبو عبد الرحمن الكوفي)، الإمام المجتهد قاضي الكوفة، وحدث عن أبيه وعبد الله بن عمر وجابر بن سمرة ومسروق وطائفة، روى عنه: الأعمش ومحمد بن عبد الرحمن بن أبي ليلي والمسعودي ومسرور بن كدام وآخرون، وثقه يحيى بن معين وغيره، وقال محارب بن دثار: ((صحبناه إلى بيت المقدس ففضلنا بكثرة الصلاة وطول الصمت والسخاء)). قال ابن عيينة: قلت لمسرور: من أشد من رأيت توفياً للحديث؟ قال: القاسم بن عبد الرحمن)). توفي سنة (١١٦هـ)^(١١٨).

١٣. إبراهيم بن يزيد بن الأسود النخعي، فقيه أهل الكوفة ومفتيها هو والشعبي في زمانهما، جمع أشتات علوم هاتين الطبقتين، بعد أن تفقه على علقمة، قال أبو نعيم: ((أدرك إبراهيم أبا سعيد الخدري، وعائشة، ومَن بعدهما، من الصحابة)). وقال الشعبي حين بلغه موته: ((نعي العلم ما خلف بعده مثله، فإنه نشأ في أهل بيت فقه فأخذ فقههم، ثم جالسنا فأخذ صفو حديثنا إلى فقه أهل بيته فمن كان مثله)).

وأهل النقد يعدون مراسيل النخعي صحاحاً، بل يفضلون مراسيله على مسانيد نفسه كما نص على ذلك ابن عبد البر في ((التمهيد))، ويقول الأعمش: ((ما عرضت على

فلو لم يحل بالكوفة إلا مثل الشعبي لكفاها علماً وحديثاً وفقهاً، فلا يعقل مدينة يوجد فيها أعلم أهل الأرض بالحديث، ثم يقول المستغربون: إن الحديث لم يكن منتشرًا فيها. وما هذا الكلام منهم إلا لأن الله ﷻ طمس على قلوبهم ﴿وُطِبَ عَلَى قُلُوبِهِمْ فَهُمْ لَا يَفْقَهُونَ﴾^(١١٣). وإلا فإن من ينظر إلى حال هؤلاء الأئمة وما قاموا به من واجب في التعلم والتعليم وحفظ دين الله ﷻ لا يشك لحظة في نشرهم لحديث رسول الله في حلهم وإقامتهم.

٨. سعد بن عبيدة السلمى الكوفي (أبو حمزة)، الإمام الثقة، من علماء الكوفة، وكان زوج ابنة أبي عبد الرحمن السلمى، حدث عن ابن عمر والبراء بن عازب والمستورد بن الأحنف، وحدث عنه: زييد اليامي وإسماعيل السدي ومنصور والأعمش وفطر بن خليفة وحصين، وثقه النسائي وغيره، مات في الكهولة في حدود سنة بضع ومئة^(١١٤).

٩. طلحة بن مصرف اليامي الهمداني الكوفي، كان يسمى سيد القراء، قال أبو معشر: ((ما ترك بعده مثله)). توفي سنة (١١٢هـ)^(١١٥).

١٠. الحكم بن عتيبة الكندي الكوفي، الإمام الكبير عالم أهل الكوفة، حدث عن أبي جحيفة السوائي، وشريح القاضي، وعبد الرحمن بن أبي ليلي، وأبي وائل شقيق بن سلمة، وإبراهيم النخعي، وسعيد ابن جبير وغيرهم، وحدث عنه منصور والأعمش ومسرور بن كدام ومالك بن مغول والأوزاعي وحمزة الزيات وشعبة وآخرون. قال أحمد بن حنبل: هو من أقران إبراهيم النخعي ولدا في عام واحد، توفي سنة (١١٣هـ)^(١١٦).

^(١١٣) التوبة: من الآية ٨٧.

^(١١٤) ينظر: الطبقات الكبرى ٦: ٢٩٨، وسير أعلام النبلاء ٥: ٩، والتقريب ص ١٧٢، وغيرها.

^(١١٥) ينظر: شذرات الذهب ١: ١٤٥، وغيرها.

^(١١٦) ينظر: طبقات الحفاظ ١: ٥١، وسير أعلام النبلاء ٥: ٢٠٨، والتقريب ص ١١٥، وغيرها.

^(١١٧) ينظر: سير أعلام النبلاء ٥: ٢١٧-٢١٨، والتقريب ص ٤٥٤، وغيرها.

^(١١٨) ينظر: سير أعلام النبلاء ٥: ١٩٥-١٩٦، وغيرها.

على فساد نظرية المعاصرين من اعتماد مدرسة الكوفة على الرأي؛ لقلة الحديث فيها، وهذا بين البطلان، فكيف يكون فقه ورأي بلا حديث؟ وما هم أعلام فقهاء هذه المدرسة يعدّون من حفاظ الحديث.

الطبقة الرابعة: طبقة شيوخ الإمام أبي حنيفة:

إن هذه الطبقات متداخلة جداً، وليس المقصود من التقسيم أن الطبقة السابقة لم يلتق بأصحابها الإمام أبو حنيفة ولم يأخذ منهم؛ لأنه تتلمذ على شيوخها كما هو ثابت، وإنما المراد التقسيم الزمني إجمالاً تقريباً للطالبين وتسهيلاً للقارئ في الوقوف على علماء وفقهاء مدرسة الكوفة الفقهية الذين نقلوا هذا الدين جيلاً عن جيل بحمد متواتر في المشاهير من الأئمة.

فهذه الطبقة لا تقل عدداً ولا علماً عن سبقتها، ففيها شيوخ لازمهم الإمام أبو حنيفة ملازمة تامة كحماد بن أبي سليمان وغيره، وسنعرض فيها أيضاً لكبار علماء هذه الطبقة، ومنهم:

١. الحكم بن عيينة، قال يحيى بن أبي كثير: ((لا أحد أفقه منه)). توفي سنة (١١٥هـ)^(١٢٠).

٢. حبيب بن أبي ثابت قيس بن دينار الأسدي القرشي (أبو يحيى الكوفي)، الإمام الحافظ فقيه الكوفة ومفتيها مع حماد، وهو أكبر منه. قال ابن المديني: ((له نحو مئتي حديث)). وقال العجلي: ((كوفي تابعي ثقة مفتي الكوفة، قبل حماد ابن أبي سليمان)). توفي سنة (١١٩هـ)^(١٢١).

٣. علقمة بن مرثد الحضرمي الكوفي (أبو الحارث)، الإمام الفقيه الحجة، حدث عن أبي عبد الرحمن السلمي، وطارق بن شهاب، وعبد الرحمن بن أبي ليلى، وسعد

^(١٢٠) ينظر: طبقات الشيرازي ص ٨٣، وغيرها.

^(١٢١) ينظر: سير أعلام النبلاء ٥: ٢٨٩، وطبقات الحفاظ ١: ٥١. والعبر ١: ١٥٠، وشذرات الذهب ١: ١٥٦.

إبراهيم حديثاً قط إلا وجدت عنده منه شيئاً))، وقال الأعمش أيضاً: ((كان إبراهيم صيرفي الحديث، فكنت إذا سمعت الحديث من بعض أصحابنا عرضته عليه)). وقال إسماعيل بن أبي خالد: ((كان الشعبي، وأبو الضحى، وإبراهيم، وأصحابنا يجتمعون في المسجد، فيتذكرون الحديث، فإذا جاءتهم فثياً، ليس عندهم منها شيء، رموا بأبصارهم إلى إبراهيم النخعي)). وقال ابن جبیر: ((تستفتوني، وفيكم إبراهيم النخعي)).

وقال الأعمش: ((ما رأيت إبراهيم يقول برأيه في شيء قط)). فعلى هذا يكون كل ما يروى عنه من الأقوال في أبواب الفقه في ((آثار أبي يوسف))، و((آثار محمد بن الحسن))، و((المصنف)) لابن أبي شيبة، وغيرها أثراً من الآثار.

والحق أنه كان يروي ويرى، فإذا روى فهو الحجة، وإذا رأى واجتهد، فهو البحر الذي لا تعكره الدلاء؛ لتوفر أسباب الاجتهاد عنده بأكملها، بل هو القائل: ((لا يستقيم رأي إلا برواية، ولا رواية إلا برأي)). وهي الطريقة المثلى في الأخذ بالحديث والرأي.

وعن الحسن بن عبيد الله النخعي، قال: قلت لإبراهيم: ((أكل ما أسمعك تفتي به سمعته؟ فقال لي: لا. قلت: تفتي بما لم تسمع؟! فقال: سمعت الذي سمعت، وجاءني ما لم أسمع، فقسسته بالذي سمعت)). وهذا هو الفقه حقاً.

وهو مع حفظه الواسع في الحديث فإنه كان يعدُّ من كبار الفقهاء على الإطلاق، وهو فقيه طبقة في الكوفة، فقد تفقه كما سبق على علقمة، وتخرج من بين يديه حماد بن أبي سليمان، وهؤلاء هم سلسلة التفقيه الذهبية في مدرسة الكوفة الفقهية. توفي سنة (٩٥هـ)^(١١٩).

وهاهو إبراهيم النخعي من كبار محدثي هذه الأمة، وهو أحد أعلام مدرسة الكوفة الفقهية، بل هو سند هذه المدرسة في كثير من مسائلهم وفروعهم، وهذا برهان آخر

^(١١٩) ينظر: طبقات الحفاظ ١: ٣٦، وحلية الأولياء ٤: ٢٢٢-٢٢٥، وطبقات الفقهاء ١: ٤٠، ٨٣، شذرات الذهب

١: ١٠٣، والوفيات ١: ٢٥، والتقريب ص ٣٥، والأعلام ١: ٧٦، ومقدمة نصب الراية ص ٣٠٧-٣٠٨.

الحديث إلا بكثرة المحدثين والحفاظ، وهذا يوضح أن أمثال هذه النظرية مجرد خيال وأوهام، ليس لها في الواقع وجود.

٦. حماد بن أبي سليمان الأشعري شيخ أبي حنيفة وصاحب إبراهيم النخعي، سمع أنس بن مالك وسعيد بن المسيب وطائفة، قال الذهبي: ((فقيه الكوفة، كان سرياً محتشماً، يفطر كل ليلة في رمضان خمسمئة إنسان)).

لازم النخعي، فاختص بجمع فقه الإمام النخعي، وقال العجلي: ((كان أفقه أصحاب إبراهيم)). وصارت تغبط الكوفة لكون حماد فيها، قال شعبة: سمعت الحكم يقول: ((ومن فيهم مثل حماد يعني أهل الكوفة)). فبلغ من الفقه والنبوغ ما فاق به أقرانه وشيوخه كالشعبي. قال أبو إسحاق الشيباني: ((حماد بن أبي سليمان أفقه من الشعبي، ما رأيت أفقه من حماد)). وكانت الرئاسة في الفقه لحماد بعد إبراهيم قال محمد بن سليمان الأصبهاني: ((لما مات إبراهيم اجتمع خمسة من أهل الكوفة، فيهم عمر بن قيس الماصر، وأبو حنيفة، فجمعوا أربعين ألف درهم، وجاءوا إلى الحكم بن عتيبة، فقالوا: إنا قد جمعنا أربعين ألف درهم، نأتيك بها، وتكون رئيسنا، فأبى عليهم الحكم، فأتوا حماد بن أبي سليمان، فقالوا، فأجابهم))^(١٢٥)، توفي سنة (١٢٠هـ)^(١٢٦).

الطبقة الخامسة: طبقة أقران الإمام أبي حنيفة:

وفي هذه الطبقة نعرض لمشاهير الفقهاء والعلماء من أقران الإمام أبي حنيفة ممن أفتوا ودرسوا وقضوا في عهد إمامته في الفقه، مما يظهر أن الفقه في عصر الإمام كان منتشرًا وشائعًا في تلك البلدة الطيبة، والعلماء فيها متنافسون فيه، وهذا يؤدي إلى تحقيق مسائله، وتدقيق أصوله، وتمحيص قواعده؛ لأن المفتي سيتكلم في بلاد علم

بن عبيدة، وأمثالهم، حدث عنه: غيلان بن جامع، وأبو حنيفة، والأوزاعي، وشعبة، وسفيان الثوري، ومسعر بن كدام، والمسعودي، وآخرون. قال الإمام أحمد: ((هو ثبت في الحديث)). توفي سنة (١٢٠هـ)^(١٢٢).

٤. عمرو بن عبد الله السبيعي الكوفي، أبو إسحاق، شيخ الكوفة وعالمها ومحدثها، رأى علياً، قال ابن ناصر الدين: ((كان أحد أئمة الإسلام، والحفاظ المكثرين)). وقال الذهبي: ((وكان من العلماء العاملين ومن أجلة التابعين)). توفي سنة (١٢٧هـ)^(١٢٣).

٥. سليمان بن مهران الأعمش الأسدي الكاهلي الكوفي (أبو محمد)، رأى أنس بن مالك وكلمه وأبا بكر، أحد الأعلام، وهو من كبار علماء الكوفة يقارن بالزهري في الحجاز. وكان من أبرز علماء أمة سيدنا محمد الذين حفظ الله ﷺ بهم دينه، قال ابن المديني: ((حفظ العلم على أمة محمد بالكوفة أبو إسحاق السبيعي، والأعمش)). وكان من العدول الأثبات المحدثين الحفاظ، وعلمه الواسع، وملازمته للكبار زادته ورعاً وتقوى وعبادة، قال الخريبي: ((ما خلف أعبد منه)). وقال وكيع: ((كان الأعمش قريباً من سبعين سنة لم تفته التكبيرة الأولى)). ولد سنة (٦١هـ)، وتوفي سنة (١٤٨هـ)^(١٢٤).

فهذه البقعة الطيبة المباركة تعاهدها الله ﷻ بأمثال هذا النبراس، من حفظة دينه، وحفاظ أمة نبيه محمد، فها هو الزهري عالم الحجاز يوازيه عالم من أهل الكوفة في الحديث وحفظه، وبذلك يتبين ضعف النظرية العصرية التي تقول: انتشر الحديث في الحجاز بخلاف الكوفة؛ لأن من الثابت تاريخياً - كما بين أيدينا - أن الكوفة جمعت من الحفاظ والمحدثين كما في بلاد الحجاز إن لم تزد عليها، وهل يكون انتشار

^(١٢٥) في ضعفاء العقيلي ١: ٣٠٤.

^(١٢٦) ينظر: سير أعلام النبلاء ٥: ٢٣٤، وتهذيب الكمال ٧: ٢٦٩-٢٧٩، والعبر ١: ١٥١، وطبقات الشيرازي ص ٨٤، والتقريب ص ١١٨. قال الذهبي في الميزان ٢: ٣٦٥. ولولا ذكر ابن عدي له في كامله لما أوردته، وقال ابن معين وغيره: ثقة.

^(١٢٢) ينظر: سير أعلام النبلاء ٥: ٢٠٥، وغيرها.

^(١٢٣) ينظر: سير أعلام النبلاء ٥: ٣٩٣، وشذرات الذهب ١: ١٧٤، وغيرها.

^(١٢٤) ينظر: العبر ١: ٢٠٩، وطبقات الحفاظ ١: ٧٤، والإرشاد ٢: ٥٦١، وغيرها.

٥. مسعر بن كدام الهلالي العامري (أبو سلمة الكوفي)، قال الثوري: ((كنا إذا اختلفنا في شيء سألنا عنه مسعراً)). وقال شعبة: ((كنا نسمي مسعراً المصحف)). توفي سنة (١٥٣هـ)^(١٣١).

٦. حمزة بن حبيب بن عمارة التيمي الكوفي الزيات (أبو عمارة)، الإمام القدوة، شيخ القراءة، تلا عليه حمران بن أعين والأعمش وابن أبي ليلى وطائفة. قال الثوري: ((ما قرأ حمزة حرفاً إلا بأثر)). توفي سنة (١٥٦هـ)^(١٣٢).

٧. عيسى بن عمر الهمداني الكوفي (أبو عمر)، الإمام المقرئ العابد، كان مقرئ الكوفة في زمانه بعد حمزة ومعه، قال الثوري: ((ما في الكوفة أقرأ منه)). توفي سنة (١٥٦هـ)^(١٣٣).

٨. سفيان بن سعيد الثوري، قال ابن عيينة: ما رأيت رجلاً أعلم بالحلال والحرام منه. وقال ابن المبارك: لا نعلم على وجه الأرض أعلم من سفيان. ولد سنة (٩٦هـ)، وتوفي سنة (١٦١هـ)^(١٣٤).

٩. الحسن بن صالح الهمداني، قال أحمد: ((صحيح الرواية متفقه صائن لنفسه في الحديث والورع)). توفي سنة (١٦٧هـ)^(١٣٥).

١٠. القاسم بن معن بن عبد الرحمن بن الصحابي عبد الله بن مسعود الهذلي الكوفي، الإمام الفقيه المجتهد قاضي الكوفة ومفتيها في زمانه، حدث عن منصور بن

وفقه، فعليه أن يتفحص فتاواه مرات ومرات قبل إصدارها، وإلا ردت عليه من علماء منطقته، وهذا من أسباب نزوح الفقه الكوفي على غيره؛ لكثرة الأئمة في الكوفة.

ومن مشاهير فقهاء الكوفة في هذه الطبقة:

١. عبد الله بن شبرمة (أبو شبرمة)، الإمام العلامة، فقيه العراق، قاضي الكوفة، وقال حماد بن زيد: ((ما رأيت كوفياً أفقه من ابن شبرمة)). ولد سنة (٩٢هـ)، وتوفي سنة (١٤٤هـ)^(١٣٧).

٢. حجاج بن أرطاة النخعي الكوفي القاضي، كان من بحور العلم، الإمام العلامة مفتي الكوفة مع الإمام أبي حنيفة والقاضي ابن أبي ليلى، وقال الخطيب: ((كان أحد العلماء بالحديث والحفاظ)). توفي سنة (١٤٥هـ)^(١٣٨).

٣. محمد بن عبد الرحمن بن أبي ليلى الأنصاري الكوفي (أبو عبد الرحمن)، الفقيه، مفتي الكوفة، وقاضيا، وقال محمد بن يونس: ((كان أفقه أهل الدنيا، تولى القضاء بالكوفة وأقام حاكماً ثلاثاً وثلاثين سنة، وكان فقيهاً مفتياً)). ولد سنة (٧٤هـ)، وتوفي سنة (١٤٨هـ)^(١٣٩).

٤. ليث بن أبي سليم بن زُئيم، محدث الكوفة، وأحد علمائها الأعيان، قال فضيل بن عياض: ((كان ليث بن أبي سليم أعلم أهل الكوفة بالمناسك)). توفي سنة (١٤٨هـ)^(١٣٠).

^(١٣٧) ينظر: تهذيب الأسماء: ١: ٢٧٢، ومراة الجنان: ١: ٢٩٧، وطبقات الشيرازي ص ٨٥، والتقريب ص ٢٤٩، والعبر: ١: ١٩٧، وسير أعلام النبلاء: ٦: ٣٤٧-٣٤٨. ومشاهير علماء الأمصار: ١: ١٦٨، وغيرهم.

^(١٣٨) ينظر: طبقات الحفاظ: ١: ٨٧-٨٨، وسير أعلام النبلاء: ٧: ٦٩، وغيرها.

^(١٣٩) ينظر: شذرات الذهب: ١: ٢٢٤، والكاشف: ٢: ١٩٣، و مقدمة الهداية: ٢: ٧، وطبقات الشيرازي ص ٨٥، والعبر: ١: ٢١١، وسير أعلام النبلاء: ٦: ٣١٠-٣١١، ومراة الجنان: ١: ٣٠٦، ووفيات الأعيان: ٤: ١٧٩-١٨١، وغيرهم.

^(١٣٠) ينظر: سير أعلام النبلاء: ٦: ١٧٩-١٨١، والتقريب ص ٤٠٠، وغيرها.

^(١٣١) ينظر: طبقات الحفاظ: ١: ٨٨، وغيرها.

^(١٣٢) ينظر: سير أعلام النبلاء: ٧: ٩٠-٩٣، وغيرها.

^(١٣٣) ينظر: معرفة القراء الكبار: ١: ١١٩، وسير أعلام النبلاء: ٧: ٩٧، والتقريب ص ٣٧٥، وغيرها.

^(١٣٤) ينظر: طبقات الشيرازي ص ٨٦، وغيرها.

^(١٣٥) ينظر: المصدر السابق ص ٨٦، وغيرها.

كان يقول: إن لكتاب الله ناسخاً ومنسوخاً، وكان حافظاً لفعل رسول الله الأخير الذي قبض عليه مما وصل أهل بلده))^(١٣٨).

وهذا النص يوضح علو منزلة الإمام أبي حنيفة في الحديث، وهذا أمر لا نزاع فيه لدى العلماء المنصفين، ويبيّن أن الحديث كان منتشرًا بالكوفة مما صحّ عن حفاظها حتى عدّ حديث أهل الكوفة، ويصرّح بأن للكوفة فقهاء المتداول فيها.

فتحصّل من هذا أن في الكوفة فقهاء منقولاً متوارثاً وحديثاً متداولاً شائعاً تميّزت به، والإمام أبو حنيفة هو ناقل ومتتبع لأهل الكوفة في فقههم وحديثهم، مع معرفته بغيره من الحديث غير المعمول به عند أهل الكوفة، شهد بذلك تلميذه الإمام الفقيه المحدث أبو يوسف حيث ذكر أنه يختار بعض المسائل مخالفاً للإمام أبي حنيفة لحديث، وهذا الحديث لم يعمل به الإمام أبو حنيفة تبعاً لمشايخه لما ثبت لهم في ذلك على خلافه؛ لدقة معرفته بالصحيح من غيره، فقال: ((ما خالفت أبا حنيفة في شيء قط فتدبرته، إلا مذهبه الذي ذهب إلي أنجى في الآخرة، وكنت ربّما ملت إلى الحديث، وكان هو أبصر بالحديث الصحيح مني))^(١٣٩).

وتطبيق ذلك أنه لا يخالف هذا فقه أهل الكوفة لمعرفة بعلة ما يقابلها من الآثار من ذلك ما قال ابن المبارك: ((لقد سئل أبا حنيفة عن الرطب بالتمر، قال: لا بأس به، فقالوا: حديث سعد، فقال: ذلك حديث شاذ لا يؤخذ برواية زيد أبي عياش، فمن تكلم بهذا لم يكن يعرف الحديث))^(١٤٠).

ومن ذلك أيضاً: عن داود بن المحبّر، قال: ((قيل لأبي حنيفة: المحرم لا يجد الإزارَ يلبسُ السراويل؟ قال: لا، ولكن يلبسُ الإزار. قيل له: ليس له إزار. قال: يبيع السراويل ويشترى بها إزاراً.

المعتمر، وحصين بن عبد الرحمن، وعبد الملك بن عمير، وهشام بن عروة والأعمش، وطائفة، توفي سنة (١٧٥هـ)^(١٣٦).

١١. شريك بن عبد الله بن أبي شريك النخعي، ولي القضاء بالكوفة والأهواز، قال سفيان بن عيينة: ((ما أدركت بالكوفة أحضر جواباً من شريك))، ولد سنة (٩٥هـ)، وتوفي سنة (١٧٧هـ)^(١٣٧).

ومن هذا التسلسل التاريخي لمدرسة الكوفة يتبيّن لنا بكل جلاء حفظهم لحديث وفقه النبي بطرق متواترة نقلها جيل عن جيل من العدول الأثبات، وأن هذه المدرسة استندت في فقهها إلى العمل المتوارث والحديث المنقول.

ويتلخص الكلام في العمل المتوارث بعد التفصيل السابق بأنه ما تتابع العمل به بين فقهاء الكوفة وحفاظها من كل طبقة إلى صحابة رسول الله سواء رفعوا في ذلك أثراً، أو وقفوه عليهم، ففي كثير من المسائل يظهر احتجاج فقهاء الكوفة وفي مقدّماتهم الإمام أبي حنيفة بعمل أو قول صحابة رسول الله لا سيما علي بن أبي طالب وابن مسعود؛ لأن فقه الكوفة يدور عليهما كما سبق، وهذا الاحتجاج منهم؛ لما تبين من شدة ملازمة عليّ وابن مسعود للنبي فما قالاه وعملا به صادرٌ عن مشكاة النبوة عموماً.

وأما الحديث المنقول فقد اتضح لنا أن الكوفة حظيت بمحدثين وحفاظ لم تحظ بهم غيرهما من البلاد، مما أشاع الحديث في ربوعها بعد تمحيصه ومعرفة صحيحه من سقيمها، حتى تمكّن أئمة الفقه كالإمام أبي حنيفة من بناء المسائل عليه، قال الحسن ابن صالح: ((كان أبو حنيفة شديد الفحص عن الناسخ من الحديث والمنسوخ، فيعمل بالحديث إذا ثبت عنده عن النبي وعن أصحابه، وكان عارفاً بحديث أهل الكوفة، وفقه أهل الكوفة، شديد الاتباع لما كان عليه الناس ببلده، وقال:

^(١٣٨) ينظر: أخبار أبي حنيفة وأصحابه ص ١١، وعتود الجمان ص ١٧٦، وغيرها.

^(١٣٩) ينظر: أخبار أبي حنيفة ص ١١، وغيره.

^(١٤٠) ينظر: أخبار أبي حنيفة ص ١٢، وغيره.

^(١٣٦) ينظر: سير أعلام النبلاء ٨: ١٩٠، وغيرها.

^(١٣٧) ينظر: طبقات الشيرازي ص ٨٧، وغيرها.

مشوش، وما يعرض في كتب الفقه من تقوية لفروع كل مذهب بمقابل غيره من المذاهب من قبل علمائه، فإن فيه زيادة ثقة كل قوم بمذهبهم، لا تضعيف لمسائل غيرهم من المذاهب؛ لأنك لو راجعت كتب المذاهب الأخرى لرأيت قوة استدلالهم فيما ذهبوا إليه، مما يبرهن أن كل مسألة عند أهلها معتمدة ومعتبرة، وأن ردّ غيرهم وتضعيفهم لها لا يؤثر عليهم في اعتمادهم عليهما، وإنما هي سنة الله ﷻ ليبقى هذا العلم محفوظاً من الضياع، ﴿وَلَوْلَا دَفْعُ اللَّهِ النَّاسَ بَعْضَهُم بِبَعْضٍ لَفَسَدَتِ الْأَرْضُ وَلَكِنَّ اللَّهَ ذُو فَضْلٍ عَلَى الْعَالَمِينَ﴾^(١٤٢).

الكوفة مهد علوم الإسلام:

إننا مما سبق تبين لنا أن نواة علم الفقه كانت في الكوفة، وفيها نما وترعرع، ويكفيها أن منها واضع علم الفقه - إن صحّ التعبير - وهو الإمام أبو حنيفة، بمعنى مرصفه ومقعدته ومؤصله والمفرّج عليه، فعن محمد بن واسع قال: ((إن الفقه صناعة لشاب بالكوفة يكنى أبو حنيفة))^(١٤٣).

وأن كبار حفاظ هذه الأمة ومحدثيها من الكوفة كالشعبي والأعمش والنخعي وغيرهم، وما سبق من التفصيل يغنينا عن الكلام هنا.

ولم يقتصر علمها على الفقه والحديث، بل مشاهير القراء منها، فالأئمة الثلاثة من السبعة كوفيون: وهم: عاصم، وحمزة، والكسائي، وزد خلفاً العاشر من بين العشرة، فهذا يبين أن علم القراءة كان مقرّه الكوفة أيضاً، ومن التراجم السابقة يتبين ذلك.

قيل له: فإن النبي خطب وقال: (المحرم يلبس السراويل إذا لم يجد الإزار)؟ فقال أبو حنيفة: لم يصح في هذا عندي عن رسول الله شيء فأفتي به، وينتهي كل امرئٍ على ما سمع، وقد صحّ عندنا أن رسول الله قال: (لا يلبس المحرم السراويل)، فنتنتهي إلى ماسمعنا.

قيل له: أتخالف النبي؟ فقال: لعن الله من يخالف رسول الله . به أكرمنا، وبه استتقذنا))^(١٤١).

ومن أراد التوسع في التطبيق فليراجع المطولات من كتب الفقه وأدلة الأحكام والتخاريج، فإن فيها كفاية لكل طالب تبيّن استقلال هذه المدرسة في فقهها واستدلالها.

فمدرسة الكوفة الممثلة بالمذهب الحنفي لها طريقها ومسلكتها القويم الذي يوصلها إلى الحضرة النبوية وفقهها من خلال هؤلاء الصحابة الذي حلوا في الكوفة، ونقلوا ما رأوه وما سمعوه إليها مع التطبيق العملي له بين أهلها، وعلى رأسهم علي وابن مسعود، ثم تظافت الجهود من الحفاظ والفقهاء بالحفاظ على هذا الإرث العلمي والفقهية والحديث حتى تبلورت منه أقوى مدارس الإسلام في أصولها وفروعها واستدلالها.

وهذا الاستناد والاعتماد في هذه المدرسة هو سرُّ ثقة كبار العلماء والحفاظ والفقهاء بها وقبولهم لفقهها دون نزاع عبر كل هذه القرون المتطاولة، فمن أدرك هذا أراح نفسه وأراح غيره ومشى على بصيرة في دينه، ومن غفل عنه وأراد أن يعيد بناء الفقه من جديد وينقح مسأله على مدّعاه أتعب نفسه وظلم غيره ممن يصغي إليه.

والطريق التي يحكم بها العاقل هي طريق أئمتنا، والمتمثلة عند أهل السنة بالتزام كل قوم بمذهبهم واعتمادهم لمسائله؛ لتتنظم أمور حياتهم وعباداتهم، دون تشويش

^(١٤٢) البقرة: من الآية ٢٥١.

^(١٤٣) ينظر: أخبار أبي حنيفة ص ١٢، وغيره.

^(١٤١) ينظر: هامش مكانة الإمام أبي حنيفة ص ٧٥، وغيره.

البوطي د. محمد سعيد رمضان - محاضرات في الفقه المقارن. دار الفكر المعاصر، بيروت. دار الفكر، دمشق. ط ٢٠٠٢. ١٤٢٠هـ.

التفتازاني مسعود بن عمر سعد الدين، (ت ٧٩٢هـ). - التلويح على التوضيح مطبعة صبيح بمصر.
التهانوي- ظفر أحمد (ت ١٣٩٤هـ)، أحكام القرآن لإدارة القرآن والعلوم الإسلامية، باكستان، ط ١، ١٤٠٧هـ.

الترمذي- محمد بن عيسى (٢٠٩-٢٧٩هـ)، سنن الترمذي ت: أحمد شاکر وآخرون، دار إحياء التراث العربي، بيروت.

الحطاب- محمد بن محمد بن عبد الرحمن (ت ٩٥٤هـ)، مواهب الجليل شرح مختصر خليل دار الفكر. بيروت. ط ٢٠٠٢. ١٣٩٨هـ.

الحنبلي- محمد ابن النجار (ت ٩٧٢هـ). شرح الكوكب المنير، مطبعة السنة المحمدية.
الذهبي- شمس الدين (ت ٧٤٨هـ)، سير أعلام النبلاء تحقيق: مجموعة من العلماء، مؤسسة الرسالة، ط ١١، ١٤٢٢هـ.

الزرقاني- محمد عبد العظيم، مناهل العرفان في علوم القرآن. دار الفكر. بيروت. ط ١٠١. ١٩٩٦م.
السجستاني - سليمان بن أشعث (٢٠٢-٢٧٥هـ)، سنن أبي داود ت: محمد محيي الدين عبد الحميد، دار الفكر، بيروت.

صدر الشريعة - عبيد الله بن مسعود (٧٤٧هـ) التوضيح على التنقيح، المطبعة الخيرية. مصر. ط ١٠١. ١٣٢٤هـ.

حيدر-علي، درر الحكام شرح مجلة الأحكام، تعريب المحامي فهمي الحسيني، دار عالم الكتب الرياض، طبعة خاصة، ١٤٢٣هـ ٢٠٠٣م.

عليش- محمد بن أحمد، فتح العلي المالك في الفتوى على مذهب مالك، (ت ١٢٩٩هـ)، دار المعرفة.
العسقلاني ابن حجر (ت ٨٥٢هـ). القول المسدد في الذب عن مسند الإمام أحمد، مكتبة ابن تيمية. ط ١٠١. ١٤٠١هـ.

العسقلاني- ابن حجر (ت ٨٥٢هـ). لسان الميزان، مؤسسة الأعلمي للمطبوعات، بيروت، ط ٣، ١٤٠٦هـ.

الغزوني- عمر (ت ٧٧٣هـ). الغرة المنيفة في تحقيق بعض مسائل الإمام أبي حنيفة ت: محمد زاهد الكوثري. المكتبة الأزهرية للتراث. مصر. ١٤١٩هـ.

الغزالي- محمد بن محمد (ت ٥٠٥هـ). إحياء علوم الدين دار إحياء الكتب العربية. القاهرة.

القرافي- أحمد بن إدريس (ت ١٢٨٥هـ)، أنوار البروق في أنواع الفروق، عالم الكتب.

بل شمل علمهم اللغة العربية فيها هو الكسائي، الإمام اللغوي المشهور من أئمة الكوفة، ومن تلامذته الفراء وبعده أبو العباس أحمد بن يحيى ثعلب وبعده القاسم بن محمد الأنباري^(١٤٤).

فعلماء الكوفة كانوا بعيدين عن ((اللحن الذي اكتظت به بلاد الحجاز، والشام، ومصر في ذلك العهد، وقد توسع المبرد في ((اللحنة)) في أنباء اللاحنين من أهل الأمصار))، سوى بلاد العراق.

وقد نقل مسعود بن شيبه جملة من ذلك في ((التعليم))، على أن مصر كانت تعاشر القبط، والشام يساكن الروم، وكان الحجاز يطرقه كل طارق من الأعاجم، ولا سيما بعد عهد كبار التابعين، مع عدم وجود أئمة بها للغة، يحفظونها من الدخيل، واللحون.

وأما الكوفة والبصرة، ففيهما دونت العربية، فأهل الكوفة راعوا تدوين جميع اللهجات العربية، في عهد نزول الوحي، ليستعينوا بذلك على فهم أسرار الكتاب والسنة، ووجوه القراءة، وأهل البصرة انتهجوا مسلك التخير من اللهجات، ما يحق أن يتخذ لغة المستقبل، فأحد المسلكين لا يغني عن الآخر^(١٤٥).

مراجع البحث:

ابن عبد البر- يوسف (ت ٤٦٣هـ). جامع بيان العلم، دار الكتب العلمية. بيروت. ١٣٩٨هـ.
البخاري محمد بن إسماعيل الجعفي (ت ٢٥٦هـ). - صحيح البخاري ت: د. مصطفى البغا. دار ابن كثير واليامة. بيروت. ط ٣. ١٤٠٧هـ.

البخاري- عبد العزيز بن أحمد (ت ٧٣٠هـ). كشف الأسرار شرح أصول البزدوي دار الكتاب الإسلامي

بقاعي- الدكتور علي نايف، الاجتهاد في علم الحديث وأثره في الفقه الإسلامي. دار البشائر الإسلامية. ط ١. ١٤١٩هـ.

^(١٤٤) ينظر: أبجد العلوم ٣: ٤٩، وغيره.

^(١٤٥) ينظر: مقدمة نصب الراية ص ٣١١-٣١٢، وغيرها.

تناول البحث دراسة مسألة مهمة يدور عليها الاستدلال في المذهب، وهي قضية بناء المذهب على الفقه المدرسي الموروث من الصحابة والتابعين، إذ تبين من خلال الدراسة والتنقيب أن المذهب الحنفي يوافق المذهب المالكي في اعتماد واعتبار لعمل أهل المدينة وتقديمه على حديث الأحاد إلى حد ما؛ إذ هذان المذهبان بنيا على الفقه الموروث من شيوخهم وشيوخ شيوخهم إلى النبي، بسبب توطن جل الصحابة فيهما، ونشأة العلم وترعرعه بهما، وأثبتنا في البحث الاتصال القوي من طبقة إلى طبقة حتى وصل هذا الفقه إلى أبي حنيفة، ومن ثم فغده وأصله ورتبه، حتى صار مذهباً له معالمه الواضحة البينة، التي ظهرت من بدأت من زمن ابن مسعود واستمرت في التطور والتعدي إلى زمن أبي حنيفة، وإذا وضحت هذه الحقيقة فإننا بذلك نكون قد حللنا أعقد مشكلة في الاستدلال للمذهب الحنفي، وهي التوارث: أي أن مدرسة المدينة ومدرسة الكوفة اعتمدتا في فقههما على النقل المتوارث جيلاً بعد جيل عن رسول الله فيما اختلف فيه، فكل منهما يقدم ما نقل مجتهد الصحابة الذي حلوا في بلده، ومن بعدهم من الفقهاء عن رسول الله ويحتج به.

الكلمات المفتاحية: المذهب الحنفي، مدرسة كوفة، ابن مسعود، أبو حنيفة

الكوثري- العلامة محمد زاهد بن الحسن (١٢٩٦-١٣٧١هـ). مقالات الكوثري المكتبة الأزهرية للتراث. ١٩٩٤م.

الكوثري- محمد زاهد بن الحسن (ت ١٣٧١هـ)، مقدمة نصب الراية دار الثريا. دمشق. ط ١. ١٩٩٧م، ضمن مقدمات الكوثري.

اللكنوي- عبد الحي، إبراز الغي الواقع في شفاء العي ت: صلاح أبو الحاج. دار الرازي. ٢٠٠١م.
اللكنوي- عبد الحي، تنبيه أرباب الخيرة . مطبع أنوار محمد. لكنو. ١٣٠١هـ ضمن كتاب تذكرة الراشد للمؤلف.

عوامة-محمد، أثر الحديث الشريف في اختلاف الفقهاء. دار البشائر الإسلامية بيروت. ط ٤. ١٤١٨هـ.

المناعي- عبد الرؤوف، فيض القدير شرح الجامع الصغير. المكتبة التجارية الكبرى. مصر. ط ١. ١٣٥٦هـ.

المرداوي- علي بن سليمان (٨١٧-٨٨٥هـ). الانصاف، دار إحياء التراث العربي. بيروت.
ملاخسرو- الأحكام محمد بن فراموز بن علي الحنفي، (ت ٨٨٥هـ)، درر الأحكام شرح غرر الشركة الصحفية العثمانية، ١٣١٠هـ.

النسفي- أبو البركات (ت ٧١٠هـ)، كشف الأسرار شرح الصنف على المنار. دار الكتب العلمية. بيروت. ط ١. ١٩٨٦م.

النووي- يحيى بن شرف (٦٣١-٦٧٦هـ)، المجموع شرح المهذب ت: محمود مطرحي، بيروت، دار الفكر، ط ١٤١٧١هـ.

الهيتمي- أحمد بن علي بن حجر المكي (ت ٩٧٤هـ). الزواجر عن اقتراف الكبائر، دار الفكر.
اليافعي- عبد الفتاح بن صالح، التمهيد، مؤسسة الرسالة ناشرون، ط ١، ٢٠٠٦م.